شَرْحُ ثلاثَةِ الأُصُوْلِ وأدلتها

شَرْحُ القَوَاعِدِ الأَرْبَــعِ

شَـــرْحُ نَواقِضِ الإسْلامِ

شَرْحُ الأصُولِ الـستِّــة

شَـــــرْحُ

ثلاثة الأصـول وأدلـتـها

لفضيلةِ الشيـخِ

حمد بنِ عبدِ اللّه الحمد

حفظَه اللّهُ

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، أما بعدُ:

فهذه شروحٌ مختصرةٌ لأربعةِ كتبٍ؛ هي: **ثلاثةُ الأصولِ، والقواعدُ الأربعُ، ونواقضُ الإسلامِ، والأصول الستة**، كلُّها للإمامِ المجدِّدِ الشيخِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المُتَوفَى سنةَ ١٢٠٦ هـ.

وكنتُ قد ألقيتُها بمدينةِ حائل، فطلبَ مني بعضُ الإخوةِ طباعتَها ليُستفادَ منها، بعد أن فرَّغَها ورتَّبَها ثُمَّ راجعْتها.

أسألُ اللهَ جَلَّوَعَلَا أن ينفعَ بها مؤلِّفَها وجامعَها وقارئَها، إنه جَلَّوَعَلَا مجيبُ الدعاءِ.

كَتَبَه

حمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحَمَد

عَضْوُ مَرْكزِ الدعوةِ والإرشادِ بحائلٍ

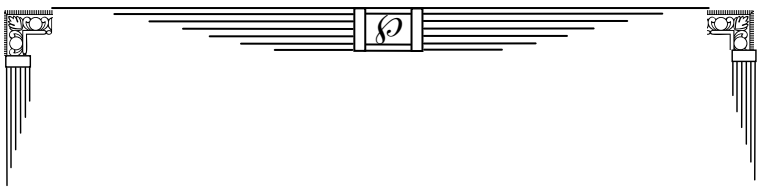

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين وبه نستعينُ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين. وبعد:

بين أيدينا رسالةٌ جامعةٌ نافعةٌ للشيخِ الإمامِ المجدِّدِ شيخِ الإسلامِ محمدِ بن عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذه الرسالةُ قد أُلِّفتْ للعامةِ؛ ليحفظوها وليفهموا ما فيها؛ فإنها من العلمِ العينيِّ الذي يجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

ولقد اعتنى أهلُ نجدٍ بهذه الرسالةِ النافعةِ فكانوا يَحفظونها عامَّتُهم وخاصَّتُهم، حتى أنك لتجدُ بعضَ كبارِ السنِّ ما زال يحفظُ ما تَلقَّنَه من ألفاظٍ وجملٍ في هذه الرسالةِ النافعةِ للشيخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذه الرسالةُ قد جمعت مبادئَ الإسلامِ، فإذا أراد المسلمُ أن يُعَرِّفَ بالإسلامِ الذي يَدينُ به فإنَّ هذه الرسالةَ قَد بيَّنت مبادئَ الإسلامِ، وفيها تعريفٌ بهذا الدينِ الحنيفِ الذي بُعِثَ به خاتمُ الأنبياءِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قالَ شيخُ الإسلامِ المجدِّدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اعْلَمْ -رحِمَكَ اللهُ- أنه يجبُ علينا تعلُّمُ أربعِ مسائلَ)**.

بدأَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد البسملة بالدعاءِ لطالبِ العلمِ بالرحمةِ، وهذا من التلطفِ في تعليمِ العلمِ، فإنَّ العلماءَ قد جمعوا مع العلمِ الرحمةَ للخلقِ، فعندهم علمٌ ورحمةٌ، ولذا تجد أهلَ العلمِ في بابِ الإجازةِ في السُّنَّةِ يبدؤون بهذا الحديثِ:

«**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللهُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»،(١)وهذا الحديثُ هو المعروفُ بالمسلسل بالأولية، أي كُلُّ راوٍ يقولُ: **"وهو أولُ حديثٍ سمعتُه منه"**، فالحاصلُ أنَّ الشيخَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأَ بالدعاءِ من باب التلطفِ والعنايةِ بطالبِ العلمِ.

قوله: **(أنه يجبُ علينا تعلُّمُ أربعِ مسائلَ)**، العلمُ منهُ **علمٌ عينيٌّ واجبٌ**، ومنه **علمٌ كفائيٌّ** إذا قامَ به البعضُ سقطَ الإثمُ عن الباقين، وهو مستحب، مؤكد استحبابه في حق الفرد.

و العلمُ العينيُّ هو: ما تصونُ به اعتقادَك، وعباداتِك، ومعاملاتِك؛ لئلا تقعَ في الخطأِ، فهذا هو العلمُ العينيُّ الواجبُ على كلِّ مسلمٍ كما قالَ ﷺ فيما رواه ابنُ ماجه: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(٢)، وهو حديثٌ حسنٌ لغيرِه.

وفي الصحيحين: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٣)، فهذهِ الرسالةُ من العلمِ العينيِّ الذي يجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يتعلَّمَه، ولا يُعذرُ بجهلِه، وينبغي لطالبِ العلمِ كما تقدَّمَ أن يحرصَ على حفظِها؛ ليُعلّمَها الناسَ، وليعلمَها خاصَّتَه وعامَّتَه.

قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**(الأُوْلَى العِلْمُ وَهُوَ: مُعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ)**:

---

(١) أخرجه أحمد (٦٤٩٤)، وأبو داوود (٤٩٤١)، و الترمذي (١٩٢٤)

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب (العلم)، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، (١/ ٨١)، رقم (٢٢٤)، من حديث انس بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (العلم)، باب (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)(١/ ٢٥)، رقم (٧١)، ومسلم، كتاب (الزكاة)، باب (النهي عن المسألة)، (٢/ ٧١٩)، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان.

فالعلمُ معرفةُ اللهِ، هذا هو الأصلُ الأوَّلُ.

ومعرفةُ النبيِّ ﷺ، وهذا هو الأصلُ الثاني.

ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بِالأَدلة، وهذا هو الأصلُ الثالثُ.

وقوله:(بِالأَدِلَّةِ)؛ ليَجزمَ لئلا يكونَ عنده شكٌّ.

لا بُدَّ أن يعلمَ ذلك بالأدلَّةِ، فيعلمَ أنه لا إلهَ إلا اللهُ، ويعلمَ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، يعلمُ ذلك بالأدلةِ من الشرعِ، والأدلةِ من العقلِ، ومن الفطرةِ، فلا بدَّ من معرفةِ الحقِّ بدليلِه.

فيعرفُ أنَّ اللهَ هو المستحقُّ للعبادةِ، يعرفُ ذلك بالأدلةِ، عند قراءتِه للقرآنِ كقولِه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وقولُه: ﴿وإلهكم إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

ويعلمُ ذلك عند تدبُّرِه للآياتِ الكونيةِ، فيعلمُ أنَّ اللهَ هو الربُّ المستحِقُّ للعبادةِ.

ويعلم ذلك بفطرتِه أيضًا، فإنَّ العبادَ مفطورون على الحنيفيَّةِ السَّمْحةِ كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

إذن لا بدَّ من معرفةِ ذلك بالأدلةِ، والشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالةِ يُوردُ الأدلَّةَ على هذهِ الأصولِ الثلاثةِ.

قوله: (الثانيةُ: العملُ به)، لا بُدَّ من العملِ، أي لا يكفي العلمُ بلا عملٍ، لا بدَّ وأن يعملَ بما علمَ، فالذي يعلمُ ولا يعملُ، هذا فيه شبَهٌ باليهودِ الأمَّةِ المغضوبِ عليها، والذي يعملُ بلا علمٍ فيه شبَهٌ من النصارى الأمَّةِ الضَّالَّةِ.

قالَ بعضُ السلفِ: **"من فسدَ من علماءِنا ففيه شبهٌ من اليهودِ، ومن فسدَ من**

عُبَّادِنا ففيه شبهٌ من النصارى"(١)– نسألُ اللهَ العافيةَ –.

قوله: **(الثالثةُ: الدعوةُ إليه)**، فإذا علمتَ وعملتَ، فادعو إلى اللهِ، تدعو عشيرتَك، وتُعلِّمُ أولادَك، وجيرانَك، وطلابَك إن كنتَ مدرسًا، ومن حولك من الناسِ، سواءٌ كانت الدعوةُ هكذا خاصةً، أو كانت دعوةً عامَّةً من خلال إلقاءِ المحاضراتِ والكلماتِ فلا بدَّ من الدعوةِ إلى اللهِ تعالى قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله: **(الرابعةُ: الصبرُ على الأذى فيه)**، إذا دعوتَ إلى اللهِ وعملتَ بهذا العلم فلا بدَّ من أذًى يلحقُك فاصبرْ كما قالَ الله عن لقمانَ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾، سواءٌ كانَ الأذى بالكلام أو كانَ الأذى بما يزيدُ على الكلامِ من ضربٍ أو غيرِ ذلك، لكنَّ المؤمنَ يصبرُ، والصبرُ على ثلاثةِ أنواعٍ:

(١) صبرٍ على الطاعةِ.

(٢) صبرٍ عَنِ المعصيةِ.

(٣) صبرٍ على الأقدارِ المؤلمةِ.

١- **فالنوعُ الأولُ**: أن تصبرَ على الطاعةِ قالَ تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، فالعبدُ مأمورٌ بأن يصبرَ على فعلِ ما أمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ به؛ لأنَّ النفسَ قد تدعوه للكسلِ والتفريطِ والتهاونِ بما أوجبَه اللهُ عليه لكنَّه يصبرُ ويجاهد نفسه.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٦٥).

٢- **النوعُ الثاني**: صبرٌ عن المعصيةِ، فالنفسُ تدعوه إلى المعاصي والشهواتِ، لكنَّه يصبرُ ويمنعُ نفسَه، وإنما الصبرُ كما قيلَ صبرُ ساعة، يتجلَّدَ حتى يتعوَّدَ على الصَّبْرِ، ويكونُ الصبرُ بعد ذلك سجيَّةً له، فقد يتعبُ في أولِ الأمر عندما يمنعُ نفسَه من شهواتِها ومراداتِها، لكنه بعد ذلك يجدُ لذَّةً، وطُمأنينةً، وسعادةً إذا منعَ نفسَه لله، وتدبَّرْ حالَ الصائمِ، فإنه يمنعُ نفسَه عن الطعامِ والشرابِ، فإذا أذَّنَ المغربُ فرِحَ فرحًا أعظمَ من فرحِ الذي لا يصوم ولذا قالَ ﷺ: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»(١)، فالذي يمنعُ نفسَه عن المعاصي له فرحتان، فرحةٌ عندما يغلبُ نفسَه ويمنعها، وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه عندما يجازيه اللهُ جزاءَ الصابرين: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٣- **النوع الثالث**: صبرٌ على أقدار الله المؤلمة: فإذا أصيب العبد بنقص أو فقدٍ في نفسه، أو ولده، أو أهله، أو قريبه، أو ماله أو غيرِ ذلك من المصائب فإن المؤمن يعلم أن ذلك من عند الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه كما ورد ذلك عن النبي ﷺ(٢) فيصبر على قدر الله جل وعلا ولا يتسخط، ولا يشق جيبًا، ولا يدعو بالويل والثبور وغير ذلك من الأفعال والأقوال الدَّالة على تسخطه على قضاء الله وقدره.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الصوم)، باب (هل يقول إني صائم إذا شتم)، (٣/ ٢٦)، رقم (١٩٠٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨)،(٤/ ٤٠٩)، (٤/ ٤٨٧)، وأخرجه الترمذي (٤/ ٢٤٨)، (٤/ ٦٦٧) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

قوله: (والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تعالى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾)، يُقْسِمُ اللهُ تعالى بهذهِ السورةِ-التي هي من جوامعِ الكلامِ-بالعصرِ، أي الزمنِ والوقتِ الذي هو ظرفٌ للأعمالِ سيئِّها وصالِحها، وهذا القَسمُ من اللهِ أذانٌ بأهميةِ الوقتِ وإعلامٌ بفضلِه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: أي إنَّ جنسَ الإنسانِ لفي خسرٍ، أي إنَّ كلَّ إنسانٍ لفي خسارةٍ وخيبةٍ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: والإيمانُ كما هو معلومٌ: قولٌ، وقصدٌ، وعملٌ، وعلى ذلك فلا بدَّ في الإيمانِ من علمٍ، فهذه هي مرتبةُ العلمِ.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: هذه من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ، لأنَّ الأعمالَ الصالحاتِ من الإيمانِ وهذه هي المرتبةُ الثانيةُ وهي مرتبةُ العَمَلِ.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: أي وصَّى بعضُهم بعضًا بالحقِّ، وهذه هي المرتبةُ الثالثةُ وهي مرتبةُ الدعوةِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾: هذه هي المرتبةُ الرابعةُ وهي مرتبةُ الصبرِ على الأذى.

قوله: (قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّوْرَةُ لَكَفَتْهُمْ»)؛ وَهذا لتضمُّنِها ما أوجبَه اللهُ تعالى على عبادِه إجمالًا من العلمِ، والعملِ، والدعوةِ، والصبرِ على الأذى، فتضمنت ما فيه نجاةُ العبدِ، وما فيه سلامتُه من الخسارةِ على الإجمالِ، لكن في الأدلةِ الأخرى تفصيلُ ذلك.

قوله: (قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَابُ (العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ)، والدَّلِيْلُ قَوْلُه تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ»)، فالعلمُ قبلَ القولِ والعملِ، ولذا بوَّبَ هذا الإمامُ الفقيهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الآيةِ، فقالَ: بابُ (العلمُ قبلَ القولِ والعملِ): فالعلمُ قبلَ القولِ وقبلَ العملِ، فإذا كانَ يعملُ بِلا علمٍ ولا بصيرةٍ، ففيه كما تقدَّمَ شبهٌ من النصارَى.

قوله:(اِعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِلَ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ. الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بل أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُوْلًا، فَمَنْ أَطَاعَه دَخَلَ الجنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، والدَّلِيْلُ قَوْلُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾)، هَذِهِ أَيْضًا مَسَائِلُ ثلاثٌ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أنْ يَتَعَلَّمَهَا.

أ – **المسألةُ الأولى**: أنَّ اللهَ خلقنَا ورزقنَا، ولم يتركْنا هَمَلًا غيرَ مُكلَّفين، بل إنَّه أرسلَ الرُّسلَ وأنزلَ الكتبَ لِهداية العباد. قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، فكلُّ أمةٍ من الأممِ أرسلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إليها رسولًا يدعوها إلى توحيدِ اللهِ تعالى.

قوله: (الثانيةُ: أن اللهَ لا يَرْضَى أنْ يُشرَكَ مَعَهُ في عِبَادَتِه أَحَدٌ، لا مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ)، فاللهُ تعالى يغارُ على التوحيدِ، ويغضبُ أن يُشرَكَ معه غيرُه، ولا يرضى بالشِّرْكِ، ولو كان نبيًا مُرْسَلًا كمحمدٍ، وعيسى عليهما الصلاة والسلام، أو كان وَلِيًا صَالِحًا كعليٍّ والحسينِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أو كانَ ملَكًا مقربًا كجبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فاللهُ تعالى لا يرضى أن يُشْرَكَ معه أحدٌ في عبادتِه.

قوله: (والدليلُ قَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾)[الجن: ١٨]، **الدعاءُ نوعانِ:**

١- دعاءُ مسألةٍ: كَقُولِ العبد: «أسألُك أن ترزقَني، أسألُك أن تغفرَ لي، أسألُك أن ترحمَني»، هذا دعاءُ مسألةٍ.

٢- دعاءُ عبادةٍ: وهو فعل العباداتِ من صلاةٍ، وصومٍ، وصدقةٍ، وحجٍّ وغيرِ ذلك، هذا يُسمَّى دعاءَ عبادةٍ، وذلك لأنَّ لسانَ حالِه الدُّعاءُ، فهذا الذي يصلي ويسجدُ للهِ عَزَّوَجَلَّ فَلِسَانُ حَالِه يقولُ أنا يا ربِّ سجدتُ لك لتغفرَ لي، و أُصلِّي لك لترضى عني، وَإِذَا أَخْرَجَ زكاةَ مالِه فَلِسَانُ حَالِهِ يَقُول: يا ربِّ أنا إنما أخرجتُ زكاةَ مالي لترضى عني، ولذا هذا يُسمَّى بدعاءِ العبادةِ.

فالذي يقولُ يا ربِّ اغفرْ لي هذا لسانُ مقالِه الدُّعاءُ، والذي يسجدُ ويصلي هذا لسانُ حالِه الدعاءُ؛ ولذا فإنَّ الدعاءَ نوعانِ، دعاءُ عبادةٍ ودعاءُ مسألةٍ.

والدعاءُ هو العبادةُ كما قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ فسمَّى الدُّعاءَ عبادةً، وقالَ ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب (الصلاة)، باب (الدعاء)، (٢/ ٧٦)، رقم (١٤٧٩)، والترمذي، (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ومن سورة البقرة)، (٥/ ٦١)، رقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه، كتاب (الدعاء)، باب (فضل الدعاء)، (٢/ ١٢٥٨)، رقم (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قوله: (الثالثةُ: أنَّ من أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ له موالاةُ من حادَّ اللهَ ورسولَه، ولو كانَ أقربَ قريبٍ، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾)[المجادلة:٢٢]، **هذه المسألةُ الثالثةُ**: وهي أصلٌ من أصولِ الدينِ، وهي مسألةُ الولاءِ والبراءِ، بأن تُواليَ المؤمنينَ وتُعاديَ المشركين، وهي داخلةٌ في معنى لا إلهَ إلا اللهُ.

فإنَّ الإسلامَ يدخُلُ فيه وفي معنى لا إلهَ إلا اللهُ البراءةُ من الشركِ وأهلُه، وهذه المسألةُ تُشْكِلُ على كثيرٍ من المشتغلين بالعلمِ فلا يميِّزُ بين ما يكونُ كفرًا يُخرجُ من الملةِ، وما يكونُ مَعْصِيَةً وَذَنْبًا.

وهذا التقسيمُ قرَّرَهُ أئمةُ الدعوةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ودلَّت عليه النُّصُوصُ من كتابِ اللهِ وسنَّةِ محمدٍ ﷺ.

والموالاةُ: مصدرُ «والى» يُوالِي موالاةً، وهي: المحبَّةُ والنصرةُ.

وأما التولِّي: فهو مصدرُ «تولَّى» أي: اتخذَه وليًّا، وهو: بمعنى المحبةِ التامةِ والنصرةِ الكاملةِ.

وضابطُ ما يُخرجُ من الملةِ-وهو التولي-: أن يحبَّ الشركَ وأهلَه، كالذي يقولُ: إن هؤلاء النصارى يعبدون اللهَ، يصلون ويتصدقون وأهلُ دينٍ سماويٍّ، فيقول أنا أحبُّهم لأنهم يعبدون اللهَ فهذا من التولِّي الذي يُخرجُ صاحبَه مِنَ الإسلامِ.

ومنه من ظاهرَ المشركين على المسلمين أي حاربَ مع المشركين ضدَّ

المسلمين يقاتلُ من أجلِ أن تظهرَ الدِّيمُقْراطِيَةُ والحرية وهذه الأديانُ التي تخالفُ ما جاءَ به النبيُّ ﷺ ولتكون كلمةُ الكفرِ هي العليا، هذا من التولِّي الذي يُخرجُ صَاحِبَهُ من الإسلامِ.

وأمَّا الموالاة فهي دون ذلك وليست كفرًا، منها ما يكون كبيرة من الكبائر، ومنها ما دون ذلك، هذا يُسمى بالموالاة مثل: الذي يوالي الكفار طمعًا في قوة رئاسته، وقوة دولته، فيُظاهر الكفار وهو لا يُريد أن ينتصر الكفار على المسلمين، لكنه يُريد منهم مصالح، فهذه ليست من التولي المُكفِّر بل هي من الموالاة، ومنها ما يكون كبيرة، ومنها ما يكون دون ذلك.

وكذا الذي يُقرِّب الكفار ويجعلهم وزراء له وحاشية هذا كله من الموالاة المحرمة، ولذا الله جَلَّوَعَلَا قال في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]، قال ذلك في حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما نقل سر المسلمين وهو من أعظم الموالاة، لكنه كان يتيقن نصر الله ويرى أن هذا لا يضر بالمسلمين، أراد أن تكون له يد على الكفار؛ لأجل أسرتِهِ بمكة فنقل لهم خروج النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ إليهم، فقال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فناداه باسم الإيمان، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ **الآية**، ولم يكفر بذلك، بل قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لعمر رضي الله عنه: «**لَعَلَّ اللهَ تَعَالَى اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الجهاد والسير)، باب (إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة، والمؤمنات إذا عصين الله، وتجريدهن)، (٤/ ٧٦)، رقم (٣٠٨١)، من حديث أبي عبد الرحمن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

بعضُ الناسِ أيضًا يتخذُهم بِطانةً وجُلساءَ، ويستشيرُهم وينبسطُ معهم، هذا أيضًا داخلٌ في هذا البابِ، ونحوُ ذلك هذا من الكبائرِ، وهي متفاوتةٌ بعضُها فوق بعضٍ فهذه تُسمَّى بالموالاةِ.

والكفرُ يُسمَّى بالتولِّي، قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وضابطُه كما تقدَّمَ المحبةُ لدينِهم، ولما هم عليه، أو الوقوفُ معهم لتكونَ كلمتُهم ولتكونَ أديانُهم ومعتقداتُهم هي العليا، وهذا كما تعلمونَ لا يصدُرُ إلا من منافقٍ.

ولذا نُهى عن موالاة الكفار في غير ما موضع في كتاب الله مع ذكر النفاق قال تعالى:

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾

قوله: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إبراهيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيْعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ: يُوَحِّدُونَ)، ذكر الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملةِ أنَّ الحنيفيَّةَ هي ملةُ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أُمِرَ نبيُّنا ﷺ باتباعِ مِلَّتِه، فقالَ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، **والحنيفُ هو**: المقبلُ إلى اللهِ وحدَه، المعرِضُ عمَّا سِواه.

مُقبلٌ على اللهِ، متوكلٌ عليه، محبٌّ له، خائفٌ منه، متعلِّقٌ به ويُعرضُ عمَّا سواهُ، فإقبالُه على اللهِ وحدَه، لا يتعلَّقُ بغيرِه هذا هو الحنيفُ، فهو مائلٌ عن الشركِ مستقيمٌ على التوحيدِ.

إذن: الحنيفُ هو المقبلُ على اللهِ وحدَه، المعرضُ عمَّا سواهُ، أو هو المائلُ

عن الشركِ المستقيمُ على التوحيدِ.

هذا هو دينُ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أُمرَ نبيُّنا محمدٌ ﷺ باتباعِ ملتِه قالَ تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾، قالَ تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ.

﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: بمعنى: «لا إلهَ».

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: بمعنى «إلَّا اللهُ».

فيتبرأُ المؤمن من كل معبودٍ سوى الله.

قالَ تعالى:﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ﴿جَعَلَهَا﴾: أي هذه الكلمةُ التي هي كلمةُ التوحيدِ "لا إلهَ إلا اللهُ" باقيةٌ في عقبِ أبينا إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أي: في ذريته.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي لعلَّ عقبَه يرجعون إلى هذه الكلمةِ ولا يُخالفونها.

إذن: دينُه -وهو إمامُ الحنفاءِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - عبادةُ اللهِ وحدَه لا شريكَ له وقد خلقَ اللهُ الخلق لعبادتِه، خلَقَ الثقلين الجنَّ والإنسَ لعبادتِه قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، **أي:** إلاَّ ليُوحِّدُون.

قوله: (وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيْدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّركُ، وهو دَعْوَةُ غَيْرِه مَعَهُ، وَالدَّليلُ قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾)، فأعظمُ المحرَّماتِ وأقبحُها وأفحشُها أن تجعلَ للهِ نِدًّا وهو خلقَك، هذا هو أعظمُ الذنبِ، فالشركُ أعظمُ ما نهى اللهُ عنه، والتوحيدُ هو أعظمُ الواجباتِ، وأوَّلُ واجبٍ يُؤمرُ به المكلَّفُ، وهو الذي به بُعثت لَهُ الرسلُ عَلَيَهِمٱلسَّلَامُ وله أُنزلت الكتبُ، وخُلقتِ الجنةُ والنارُ، فهو أولُ واجبٍ على العبادِ، قالَ تعالى:﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ اعبدوا الله واجتنبوا ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

قوله: (فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ التي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُها؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ وَدِيْنَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)، هذه الأصولُ الثلاثةُ التي يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يتعلَّمَها، وأن يعرفَ دليلَها؛ لِيكونَ عالمًا بها.

١- **الأصلُ الأولُ**: معرفةُ الرَّبِّ تعالى.

٢- **الأصلُ الثاني**: معرفةُ النبيِّ ﷺ.

٣- **الأصلُ الثالثُ**: معرفةُ الإسلامِ.

كُلُّ ذلكَ بالأدلَّةِ.

قوله: (فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ ربُّكَ؟ فَقُلْ: ربِّيَ اللهُ الذي ربَّاني وربَّى جميعَ العالمين بنعمِهِ وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ وأنا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ)، هذا هو الأصلُ الأوَّلُ: معرفةُ الرَّبِّ تعالى.

(فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ ربُّكَ؟ فَقُلْ: ربِّيَ اللهُ الذي ربَّاني وربَّى جميعَ العالمين بنعمِهِ)، بمعنى أنه ربَّاني بنعمتِه في مُختلِفِ الأطوارِ، وأنَا جنينٌ في بطنِ أمِّي، وطفل، وغلامٌ، وشابٌ، وكهلٌ، وشيخٌ، وهرمٌ، فاللهُ هو الذي يُربِّي ويُغذِّي بالنِّعَمِ، ويُنعمُ عليك بما شاءَ من النِّعَمِ الحسيةِ والنِّعَمِ المعنويةِ؛ لأنَّ التربيةَ تعني أن يتدرَّجَ بالإنسان في مُختلِفِ أطوارِه للوصولِ به إلى الكمالِ الإنسانيِّ، هذا في أصلِ التربيةِ، فاللهُ يُربِّي عبادَه بنعمِه، أخرجَنا من بُطونِ أُمَّهاتِنا لا نعلمُ شيئًا، فَعَلَّمنا وَرَزَقَنَا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

والربُّ هنا بمعنى المعبودِ؛ ولذا قالَ المؤلِّفُ هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لي مَعْبُودٌ سِوَاه**»، وذلك أنَّ الربَّ له إطلاقانِ في الشرعِ:

الإطلاقُ الأولُ: بمعنى الخالقِ المالكِ الرَّازق المدبرِ المتصرِّفِ في شؤونِ العبادِ. هذا هو الربُّ، وهذا هو معنى توحيدِ الربوبيَّةِ، بأن يُفردَ اللهُ بأفعالِه من خلقٍ ورَزقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ وغير ذلك من معاني الربوبية.

الإطلاقُ الثاني: أن يكونَ الربُّ بمعنى المعبودِ، وذلك لأنَّ الربوبيَّةَ تستلزمُ الألوهيَّةَ، وتدلُّ على الألوهيةِ، فالربُّ الخالقُ الرازقُ المالكُ المحيي المميتُ هو المستحقُّ للعبادةِ دون ما سواه.

إذن: الرَّبُّ يُطلقُ ويرادُ به الخالقُ الرازقُ المالكُ المدبِّرُ لشؤونِ عباده، ويُطلقُ ويُرادُ به المعبودُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾، لم يكونوا يعتقدونَ أنَّ الأحبارَ والرُّهبانَ قد خلقوهم، ولا أنهم هم المالكون لهم ولا

أنهم المدبرون لشؤونِهم، ولا المتصرفون بأحوالِهم، لم يكونوا يعتقدون هذا، إنما كانوا يعبدونهم، ولذا لمَّا سمعَ هذه الآيةَ عدِيُّ بنُ حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**إنَّا لم نعبدْهُم يا رسولَ اللهِ، فقال الرسولُ ﷺ: «ألم يكونوا يُحِلُّونَ لكم الحرامَ فتُحلُّونَه، ويحرِّمُونَ عليكم الحلالَ فتُحرِّمُونَه» قال: بلى، قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»**»(١) من هنا يُعلَمُ أنَّ الرَّبَّ يُطلقُ في لسانِ الشرعِ، ويُرادُ به أيضًا الإلهَ المعبودَ.

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تتخذوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ أي: آلهةً معبودةً من دونِ اللهِ.

إذن: الربُّ في الشرعِ يُطلقُ ويُرادُ به الخالقَ الرازقَ وغيرَ ذلك من معاني الربوبيةِ، وهذا لم يقع فيه خلافٌ بين الرُّسُل وأقوامِهم؛ فإنَّ أقوامَ الرُّسل كانوا مُقِرِّينَ بهذا النوعِ غيرَ منكرين له، ولذا قالَ تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، فكانوا يؤمنون أنَّ اللهُ هو الربُّ الخالقُ لكنهم كانوا يَعبدونَ معه غيرَه ولذا قالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾.

قوله: (فَإِذَا قِيْلَ لَكَ بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فُقْلِ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهَارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ والأرض فِى سِتَّةِ

---

(١) أخرجه الترمذي، (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ومن سورة التوبة)، (٥/ ١٢٩)، رقم (٣٠٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٩٢)، رقم (٢١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى، (١٠/ ١٩٨)، رقم (٢٠٣٥٠)، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث حسن.

أَيَّامٍ ثم ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ...﴾ الآية)، والفرقُ بين الآياتِ والمخلوقاتِ أنَّ الآياتِ أخصُّ من المخلوقاتِ، فالمراد بالآيات الدلائل البينة على ربوبية الله، وإن كان كل مخلوق فإنه يدل على الربوبية، لكنْ هذه الآياتِ غايةٌ في الوضوح على الربوبية. والآياتُ هنا المخلوقةُ لا الآياتُ المنزلةُ التي هي كلامُ اللهِ.

ومعنى ذلك أنَّ الآياتِ هي الدلائلُ البيِّنَاتُ الواضِحاتُ على أنَّ اللهَ هو الربُّ المعبودُ، هذه تُسَمَّى آيةً.

وأمَّا المخلوقُ فهو الذي خلقَه اللهُ فهو من هذه الجهةِ كالآيةِ، الآيةُ مخلوقةٌ وهذا مخلوقٌ، لكنَّ الآيةَ فيها دلالةٌ واضحةٌ بيِّنَةٌ، وعلامةٌ شاهدةٌ على أنَّ اللهَ هو الربُّ وأنه هو المعبودُ.

أُوضِّحُ هذا بالمثالِ:

المؤلفُ هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكرَ من المخلوقاتِ السماءَ والأرضَ، والسماءُ والأرضُ من المخلوقاتِ، لكن المكلَّفين يُصبحونَ ويُمسون والأرضُ أسفلَ منهم، والسماءُ فوقَهم فلا يُحسُّونَ بهاتين الآيتين العظيمتين، بخلافِ الشمسِ والقمرِ، فإنَّ الشمسَ تغيبُ والقمرَ يغيبُ فيظهرُ لهم من دلالتِه على خلقِ اللهِ للمخلوقاتِ ودلالتِه على ربوبيةِ اللهِ وأولوهيَّتِه ما لا يظهرُ لهم في السموات والأرض؛ لأنَّ الناسَ بسببِ كثرةِ مساسِهم بالأرضِ والسماءِ لا يشعرون بأنَّ الأرضَ والسماءَ آيتان كما يشعرون أنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان. ولذا ذكر الله جلَّ وعلا الشمس، والقمر، والنجوم في مُحاجَّة إبراهيم عليه السلام على قومه في سورة الأنعام.

قوله: (والرَّبُّ هو المعبودُ والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ قالَ ابنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»(١))،الرُّبوبيَّةُ تستلزمُ الألوهيَّةَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، فكما أنَّه هو الربُّ، فهو المعبودَ دونَ ما سواهُ، فالربوبيَّةُ دليلُ الألوهيَّةِ، ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، فكما أنه هو ربّكمُ، وخالقَكُم ورازقَكُم، فما بالُكم تَصرِفُونَ العبادةَ إلى غيرِهِ؟!

فالخالقُ لهذه الأشياءِ الذي خلقَكم، وجعَلَ لكم الأرضَ فراشًا، وجعلَ لكم السماءَ بناءً، وأنزلَ لكم من السماءِ ماءً، وأنبتَ لكم به من الثمراتِ ما تُرزقونَ به؛ فهو المستحقُّ للعبادةِ وحدَه دون ما سواه.

إذن: هذه الأدلةُ وهذه الآياتُ البيِّناتُ الواضحاتُ في أنفسِنا، وفي السماءِ وفي الأرضِ وفي غيرِ ذلك، من خلقِه ما يدلُّ على أنه هو الربُّ المستحِقُّ للعبادةِ وحدَه، لا شريكَ له.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٠٤).

قوله: (وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ التِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ الإِسْلَامِ وَالإِيْمَانِ وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ والخَوْفُ والرَّجَاءُ والتَّوَكُّلُ والرَّغْبَةُ والرَّهْبَةُ وَالْخُشُوعُ وَالخَشْيَةُ والإِنَابَةُ والاسْتِعَانَةُ والاسْتِعَاذَةُ والاسْتِغَاثَةُ والذَّبْحُ والنَّذْرُ وغيرُ ذَلِكَ مِنَ العِبَادَةِ التي أَمَرَ اللهُ بها «كُلُّها للهِ» والدليلُ قَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾)، **العبادةُ هي**: اسمٌ جامعٌ لما يُحبُّه اللهُ ويرضاهُ من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ، كما عرَّفَها شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فالأقوالُ الظاهرةُ هي أقوالُ اللسانِ كذكرِ اللهِ وتلاوةِ القرآنِ والدعاءِ.

وأقوالُ القلبِ هي: اعتقادُه، كإقرارِه بربوبيةِ اللهِ، وأولوهيتِه وما يستحقُّه من الأسماءِ الحسنى والصفاتِ العُلى، وإيمانِه بالجنةِ، وإيمانه بالنارِ. هذا كلُّه قولُ القلبِ.

وعملُ القلبِ كالتَّوَكُّلِ، والاستعانةِ، والرغبةِ، والرهبةِ وغير ذلك من أعمالِ القلبِ وحركاتِه.

وأعمالُ الجوارحِ كالصلاةِ، والذبحِ، والنذر وغير ذلك من أعمالِ الجوارحِ.

فمَن صرفَ شيئًا منَ العباداتِ إلى غيرِ اللهِ، فهو مشركٌ كافرٌ والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

قوله: (وفي الحديث: «الدعاء مخُّ العبادة». والدليل قوله تعالى:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠])،فالدعاءُ-دعاءُ المسألةِ- عبادةٌ، والعبادةُ كذلك دعاءُ مسألةٍ؛ لأنَّ الذي يعبدُ اللهَ يتضمنُ عبادتَه للهِأنه يسألُه، أو يستلزمُ ذلك أنّه يسألُهُ، كأنّه يقولُ: يا ربِّ أنا صلّيتُ لكَ لتغفرَ لِي.

وفي سننِ الترمذيِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١)، ولذا فإن من يذهب إلى ضريحٍ منَ الأولياءِ-وجائزٌ أن يكونَ منَ الأولياءِ وجائزٌ ألّا يكونَ منهم؛ لأنَّ اللهَ هو الذي يعلمُ الأولياءَ-ويقولُ: يا شيخُ فلان! اشفعْ لي عندَ اللهِ، يا شيخُ فلان! امرأتِي عقيمٌ فارزقْنِي وَلَدًا، هذا دعاءُ مسألةٍ، فيكون بهذا العمل قد عَبَدَ القبرَ؛ لأن دعاءَ المسألةِ: عبادةٌ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

إذًا مَن دعا أحدًا فقد عبدَه، وَأَمَّا دُعَاء الْحي الحَاضِر الذي يسمع كلامك في ما يقدر عليه فهذا جائز.

إذًا فالدعاءُ الجائزُ هو الذي تتوفّرُ فيهِ هذه الشروطُ الأربعةُ:

- **الشرطُ الأولُ**: أن يكونَ مَن يدعُوهُ حيًّا لا ميتًا.
- **الشرطُ الثاني**: أن يكونَ حاضرًا لا غائبًا.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب (الصلاة)، باب (الدعاء)، (٢/ ٧٦)، رقم (١٤٧٩)، والترمذي، (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ومن سورة البقرة)، (٥/ ٦١)، رقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه، كتاب (الدعاء)، باب (فضل الدعاء)، (٢/ ١٢٥٨)، رقم (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

○**الشرطُ الثالث**: أن يسمعُ كلامَهُ.

○**الشرطُ الرَّابعُ**: أن يكونَ قادرًا على إعطائِهِ ما يسألُهُ.

وعلى هذا، لو ذهبَ رجلٌ فقيرٌ إلى غنيٍّ وقال: أيُّها الغنيُّ، هَبْ لي دارًا أسكنُها. فهذا الدعاءُ جائزٌ؛ أو قالَ الفقيرُ: أيُّها الغنيُّ، أعطِنِي دراهمَ. فهذا دعاءٌ جائزٌ أيضًا.

لكنْ لو قال–أيِ الفقيرُ–: أيُّها الغنيُّ–أو قال: أيُّها الرجلُ– أدخِلْنِي الجنَّةَ. نقول: هذا أمرٌ لا يقدرُ عليه إلا الله، حتى وإن كان يسمعُ كلامَهُ، كان حيًّا حاضرًا.

ولو غرق رجل في البحرِ وفي قريتِهِ شيخٌ يعظِّمونَهُ، وبينَه وبينَ هذا الشيخِ مسافة بعيده، فقالَ: يا شيخُ أدرِكْنِي! أنقِذْنِي منَ الغرقِ! فهذا شِركٌ؛ لأنَّه لا يسمعُ كلامَهُ. لكنْ لو صوَّتَ لرجلٍ على الشاطئِ وقال: أيُّها الرجلُ لرجل يسمعُه أدرِكْنِي منَ الغرقِ؛ فهذا يجوزُ.

كذلك قولُ المرأة: وامعتصماهُ! تستغيثُ بالمعتصِمِ، هل هذا منهيٌّ عنه؟ نقول: لا؛ لأنَّها تعلمُ أنّ هناك مَن ينقُلُ الخبرَ إلى المعتصمِ الخليفة لينقذَ المسلمينَ ممَّا هم فيه من الذل في بلدِها.

حديث: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العبادةِ**»(١)، هو من جهةِ المعنى صحيحٌ، ومن جهةِ السَّنَدِ ضعيف، والحديثُ ثابتٌ بلفظِ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(٢) كما جاء هذا في مسندِ الإمامِ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب (الدعوات)، باب (ما جاء في فضل الدعاء)، (٥/ ٣١٦)، رقم (٣٣٧١)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٣٦)، رقم (١٨٣٨٦)،وأبو داود، كتاب (الصلاة)، باب (الدعاء)، (٢/ ٧٦)، رقم (١٤٧٩)، والترمذي، (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)، باب (ومن سورة البقرة)، (٥/ ٦١)، رقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه، كتاب (الدعاء)، باب (فضل
=

أحمدَ وغيرِهِ بإسنادٍ صحيحٍ.

قوله: (ودليل الخوفِ؛ قوله تعالى:﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥])،فالذي يخافُ غيرَ اللهِ لاعتقادِهِ أنَّه يضرُّهُ، أو ينفعُهُ، وأنَّ الله أعطاه ذلك كرامةً له فقد أشركَ.

وهذا هو خوفُ الشِّركِ الأكبر، وهو ما يسمِّيهِ العلماءُ بخوفِ السِّرِّ: **وهو أنْ يخافَ غيرَ اللهِ أنْ يُلحِقَ به ضُرًّا، أو يمنعَهُ مِن نَفْعٍ؛ لاعتقادِهِ أنَّهُ يضرُّ وينفعُ، إمَّا استقلالًا، أو أنَّ اللهَ أكرَمَه بذلك.**

كما يعتقدُ أصحابُ الأضرحةِ بالأمواتِ؛ فإذا جاء أحدٌ يريدُ أن يُزيلَ تلك الأضرحةَ، هدَّدُوه وخوَّفوه، وقالوا: إنَّ اللهَ أكرمَ صاحبَ هذا الضَّريحِ، فاحذرْ أن يُلحقَ بك الضرَّ، أن يشلَّ يدَكَ، أو أن تَنزلَ عليك صاعقةٌ منَ السماءِ فيضرَّكَ هذا الميتُ، أو يَحُولَ بينَكَ وبين النَّفعِ.

فاعتقادُ أنَّ هذا الميتَ ينفعُ ويضرُّ، أو أنَّ اللهَ أكرَمَه بذلك، هذا هو خوفُ السِّرِّ، أو خوفُ القلوبِ، وهو شِركٌ أكبرُ.

۞ وأمَّا ما سِوى ذلك؛ فليس منَ الشِّركِ، ومنه:

الخوفُ الطبيعيُّ، كما قالَ اللهُ عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١]، قد تخافُ مِن سَبُعٍ، أو تخافُ من عدوٍّ، أو مِن لصٍّ، وهذا خوفٌ طبيعيٌّ، لا شيءَ فيهِ.

فإذن: الخوفُ الشِّرْكيُّ الذي يُخرجُ صاحبَه من الإسلامِ هو خوفُ السرِّ، وهو

= الدعاء)، (٢/ ١٢٥٨)، رقم (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

خوفُ القلوبِ.

قوله: (وَدَلِيْلُ الرَّجَاءِ قَوْلُه تعالى: ﴿فمن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾).

فالرجاءُ: هو الطمعُ بما عند اللهِ، هذا لا يُصرَفُ إلا إليه، فلو طمعَ أحدٌ بوليٍّ أن يُدخلَه الجنَّةَ، أو أن يشفِيَه من مرضٍ ونحوُ ذلك، ممَّا لا يُرجَى إلا من اللهِ، فهذا من الشِّرْكِ الأكبرِ.

قوله: (ودليلُ التوكُّلِ قولُه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾)،التوكلُ: هو تفويضُ الأمرِ إلى اللهِ ؛ ثقةً به، وتوكُّلًا عليه وهو عبادةٌ لا تكونُ إلَّا للهِ فلا نفوِّضُ أمرَنا إلى غيرِه، فمَن فوَّضَ أمرَهُ إلى غيرِ اللهِ لاعتقادِهِ أنَّ هذا الذي فوَّضَ أمرَهُ إليه بيدِهِ نفعُه أو دفعُ الضُّرِّ عنه، فقد أشرك شركًا أكبرَ كما تقدَّمَ في الخوفِ.

وقد جاءَ في الحديثِ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَعُودُ بِطَانًا**»(١).

قوله: (ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، ودليلُ الخشيةِ قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾، ودليلُ الإنابةِ قولُه تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٣٢)، رقم (٢٠٥)، وابن ماجه، كتاب (الزهد)، باب (التوكل واليقين)، (٢/ ١٣٩٤)، رقم (٤١٦٤)، والترمذي، أبواب (الزهد)، باب (في التوكل على الله)، (٤/ ١٥١)، رقم (٢٣٤٤)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾)،**أمَّا الخشيةُ**: فهيَ الخوفُ منَ اللهِ عن علم بالله واسمائه وصفاته قالَ اللهُ:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، والرَّغبةُ بما في يديهِ سبحانَهُ، والرَّهبةُ ممَّا توعَّدَ به أعداءَهُ، والخشوعُ والتذلُّلُ بينَ يديهِ.

هذه كلُّها عباداتٌ تُصرَفُ للهِ وحده.

قوله: (**ودليلُ الاستعانةِ قولُه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي الحديثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ(١)»، ودليلُ الاستعاذةِ قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ودليلُ الاستغاثةِ قولُه تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾**)،**والاستعانةُ**: هي طلبُ العونِ منَ اللهِ، كمَا في قولِهِ تعالَى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وحين يذبحُ الرجلُ ذبيحتَه يقولُ: باسمِ اللهِ؛ يَعني أطلبُ العونَ من الله بذكر اسمه على هذه الذبيحة.

وأمَّا الاستعاذةُ: فهي الاعتصامُ باللهِ والالْتِجاءُ إليهِ مِن شرِّ كلِّ ذي شرٍّ، وهيَ كالدُّعاءِ، فإذا استعذتَ بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ يسمعُ كلامَكَ، فليستِ استعاذةً شركيَّةً، فمَن يستعيذُ بالشُّرَطيِّ من اللِّصِّ، يقول: أعوذُ بكَ مِن هذا اللصِّ، أو يستعيذُ بالسُّلطانِ من رجلٍ يُؤذِيهِ، أو يَغصِبُ أرضَه وماله؛ فهذه الاستعاذةُ ليستْ شركيَّةً.

لكن لو استعاذ بغيرِ اللهِ في أمرٍ لا يَقدِرُ عليه إلَّا اللهُ، أوِ استعاذَ بالأمواتِ، أو بالغائبينَ؛ فهذا يكونُ منَ الشركِ الأكبرِ كما تقدَّمَ في الدعاء.

---

(١) أخرجه الترمذي، (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ)، باب (٥٨)، (٤/ ٢٤٨)، رقم (٢٥١٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

وأما الاستغاثة: فهي طلبُ الغَوْثِ، وهي نوعٌ منَ الدعاءِ، لكنَّها تكونُ عند الشدائدِ؛ لأنَّ الدعاءَ يشملُ حالَ الشِّدةِ، وحالَ الرَّخاءِ، وأمَّا الاستغاثةُ فإنَّها تختصُّ بحالِ الشدَّةِ.

اعلم أن: لفظُ التوكُّلِ لا يكون إلا لله، فلا تقولُ يا فُلان أتوكلُ عليك، ولا تقول أتوكَّلُ على اللهِ ثم عليكَ، لفظُ التوكلِ مختص بالله، فتقولُ أتوكَّلُ على اللهِ وحدَه، ولا تقول أعوذ بالله وبك وتقول أعوذ بالله ثم بك.

قوله: (**ودليلُ الذبحِ قولُه تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، **ومن السنة**: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١))،**الذبحُ عبادة**؛ ولذا قال الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والنسكُ هو الذَّبحُ؛ فالذبحُ يجبُ أن يكونَ للهِ وحده، وقال تعالى:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:١-٢].

والدَّليلُ مِنَ السُّنةِ ما جاءَ في صحيحِ مسلمٍ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(٢).

والذبحُ يكونُ شِركًا بالله إن كان على وجهِ التقرُّبِ؛ فيتقرَّبُ للوليِّ، أو يتقرب للجِنِّيِّ، كأن يأمرُه الكاهنُ أو الساحرُ أن يذبحَ للجِنِّيِّ، أو أن يذبحَ للولي تقرُّبًا إليه، وهذا هو الشرك بالله.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الأضاحي)، باب (تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله)، (٣/ ١٥٦٧)، رقم (١٩٧٨)، من حديث عامر بن واثلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢)أخرجه مسلم، كتاب (الأضاحي)، باب (تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله)، (٣/ ١٥٦٧)، رقم (١٩٧٨)، من حديث عامر بن واثلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومنه الذبحُ لطلعةِ السلطانِ، وقد كانَ هذا موجودًا في بعضِ البلادِ قديمًا، وقد يوجدُ في هذا العصرِ؛ فإذا أتَى السلطانُ ودخلَ القريةَ، وقد صفوا عن يمينِ الدَّربِ وعن يسارِهِ ومعهم الإبلُ والبقر، فإذا مرَّ ذبحوا له، لا يقصدونَ إكرامَهُ بأكلِ لحمِها، وإنما يقصدونَ إكرامَهُ بالذَّبحِ نفسِهِ والتقرُّبِ إليه بنفسِ الذَّبحِ، وقد نصَّ العلماءُ على أنَّ الذبحَ لطلعةِ السلطانِ شركٌ أكبرُ.

وأمَّا الذبحُ لإكرامِ السلطانِ إذا جاءَ لبلد، فتُذبحُ الذبائحُ؛ إكرامًا له، ووليمةً لمجيئِهِ، فهذا لا حرجَ فيهِ، بل هو منَ الكَرَمِ، وليس وهذا من الشركِ، وإذا قصَدُوا التقرُّبَ إليه بنفسِ الذبحِ، كانَ هذا مِنَ الشِّركِ.

۞وأمَّا الذبحُ لإكرامِهِ، أو لإكرامِ الضيفِ؛ فإنَّ ذلك منه ما هو محمودٌ ومنه ما هو مذمومٌ:

- **فإن كان فيه إسرافٌ**، أو كان يُقصَدُ منه الخُيَلاءُ، فهو مذمومٌ.
- وإن كان القصدُ من ذلك إكرامَ الضَّيفِ لا على وجهِ الخيلاءِ ولا على وجهِ الإسرافِ، فإنَّ هذا أمرٌ محمودٌ يحبُّه اللهُ.

وقد يذكر صاحبُ الذَّبيحةِ اسمَ غيرِ اللهِ عند ذبحِها؛ كأن يقولَ عند الذَّبحِ: باسمِ المسيحِ مثلًا، أو يقول: باسمِ الجنِّي الفلانيِّ، أو الوليِّ الفلانيِّ، فهذا شرك الاستعانة.

قوله: (وَدَلِيْلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾)، النَّذرُ لغيرِ اللهِ؛ كأنْ يقولَ: نذرٌ عليَّ للشيخِ فلانٍ أو الوليِّ فلانٍ إنْ شُفِيَ مريضِي، أو ولدتِ امرأتِي، أو نجحَ وَلَدِي أن أضعَ في ضريحِهِ كذا وكذا منَ الدَّراهمِ، وكذا من الطعامِ، فذلك شركٌ أكبرُ؛ لأنَّ النَّذْرَ عبادةٌ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ

نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة:٢٧٠].

وفي الحديثِ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ، فَلْيُطِعْهُ**»(١) فالنذرُ عبادةٌ، فصرفُ هذه العبادةِ إلى غيرِ اللهِ شِركٌ أكبرُ.

إذًا عندنا قاعدةٌ: "أنَّ العباداتِ كلَّها لا تُصرَفُ إلَّا للهِ"، فصرفُ هذه العباداتِ للهِ توحيدٌ، وصرفُها لغيرِ اللهِ شركٌ، وقد كانَ المشركون الذين بُعِثَ فيهمُ النبيُّ يصرفونَ إلى اللهِ أنواعًا منَ العباداتِ، لكنَّهم كانوا يصرفون أنواعًا أخرى من العباداتِ إلى غيرِه سبحانَه.

ولذا، كانوا في مكةَ عندَ بيتَ اللهِ، ويتعبدون لله فيه، وكانوا يَدينُونَ للهَ بشيءٍ من دينِ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام، ولكنَّهم ضموا إلى ذلك أنواعًا منَ الشركِ باللهِ؛ فقد يكونُ الرجلُ يصومُ ويصلِّي ولكنَّه يطلبُ غيرَ اللهِ ويُشرِكُ باللهِ، فإذَا أصابَتْه ملمَّةٌ لجأَ إلى غيرِ اللهِ، وفوَّضَ أمرَه إلى غيرِ اللهِ، وسألَ غيرَه، وهذا شركٌ باللهِ.

قوله: (**الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ وَهُوَ: الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيْدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ، وهو ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيْمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ**)، فذكرَ الشيخُ هنا أنَّ الأصلَ الثانيَ وهو معرفةُ دينِ الإسلامِ الذي بَعَثَ اللهُ به نبيَّهُ محمّدًا ﷺ خاتمًا للأديانِ ولا يقبلُ اللهُ من العبادِ سواه قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ الله الإسلام﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الأيمان والنذور)، باب (النذر في الطاعة)، (٨/ ١٤٢)، رقم (٦٦٩٦).

ومن هنا يُعلمُ أنَّ الأديانَ الأخرى منسوخةٌ، فالتعبدُ بها غيرُ مقبولٍ، وهذا بإجماعِ أهلِ العلمِ، ومن اعتقدَ خلافَ هذا أو صحَّحَ دين اليهودِ أو النصارى فإنه قد أتى ناقضًا من نواقض الإسلام؛ فالله لا يقبلُ من عبادِه إلا الإسلامَ، وقد قالَ ﷺ كما في صحيحِ مسلمٍ: «**والذي نفسي بيدِه لا يسمعُ بي يهودِيٌّ ولا نصرانِيٌّ ثُمَّ لا يُؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلا أَدْخَلَهُ اللهُ النارَ**»(١).

قوله: (**بِالأَدِلَّةِ**)، كما تقدَّمَ، لا بد أن تكونَ هذه المعرفةُ بالأدلةِ؛ فإنَّ التقليدَ في مثلِ هذه المسائلِ لا يُقبلُ، ويكفي أن يسمعَها العاميُّ ولو مرةً واحدةً، وإن لم يحفظْها، وإن لم يستحضرْها، فيكفي أن يسمعَ هذه الأدلةَ، وأن يعلمَ أنَّهُ على معرفةٍ مبنيَّةٍ على الأدلةِ، قد أجابَ المرسلين، فإنَّ اللهَ يسألُ الناسَ يومَ القيامةِ: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، فلا بدَّ أن يكونَ قد عرفَ الإسلامَ بالأدلةِ.

ثم عرَّفَه الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقولِه: (**وَهُوَ: الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيْدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ**)، فيستسلمُ للهِ، كما يستسلمُ الضعيفُ للقويِّ، فيستسلمُ العبدُ لربِّه بالتوحيدِ، وينقادُ للهِ بطاعتِه بإقامةِ الصلواتِ المكتوبةَ، وأداءِ الزكاةِ، وصومِ رمضانَ، وحجِّ البيتِ، وغيرِ ذلك من فرائضِ الدينِ. ويجتنب النَّواهي

قوله: (**والبراءةُ من الشركِ وأهلِه**)، فلا بدَّ أيضًا مع استسلامِه للهِ بالتوحيدِ وانقيادِه له بالطاعةِ أن يتبرأَ من الشركِ وأهلِه؛ فإنَّ البراءةَ من الشركِ والمشركين أصلٌ من أصولِ هذا الدينِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، فلا بدَّ أن يتبرأَ المؤمنُ من المشركين، ومن دينِهم. لا يصحُّ إسلامُ العبدِ حتى يوحِّدَ اللهَ، وينقادَ له بالطاعةِ، ويتبرأَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام)، (١/ ١٣٤)، رقم (١٥٣).

من المشركين، ويتبرأَ من أديانِهم، وعلى ذلك فالذي لا يتبرأُ من أديانِ المشركين ولا يتبرأُ منهم، ويصحِّحُ أديانَهم، لا حظَّ له في الإسلامِ كما تقدَّمَ تقريرُه، وذكرنا لكم أنَّ التَّولِّيَ الذي يُخْرِجُ العَبْدَ من الإسلامِ هو أن يحبَّ المشركينَ لدينِهم يقولُ: أنا أُحِبُّ النصارى؛ لأنهم أهلُ دينٍ سماويٍّ؛ لهذا يحبُّ أديانَهم يحبُّ عباداتِهم، أو كذلك يُظاهرُهم على المسلمين لتكونَ كلمةُ الكفرِ هي العليا فيقِفُ صفًّا معهم؛ لتكونَ كلمتُهم هي العليا، وليكونَ لهم الظهورُ والعُلُوُّ في الأرضِ فتقدَّمَ بيانُ هذا، وإن هذا من الكفرِ الأكبرِ.

قوله: (وهو ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيْمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ)، كما جاءَ هذا في حديثِ جبريلَ في الصحيحين. فالإسلامُ ثلاثُ مراتِبَ مرتبةُ الإسلامِ، وأعلى منها مرتبةُ الإيمانِ، وأعلى منها مرتبةُ الإحسانِ.

قوله: (فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وإيتاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ. فَدَلِيْلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُه تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨]، **وَمَعْنَاهَا لا مَعْبُودُ بِحَقٍّ إلا اللهُ)**، هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ: أي لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ.

(إله): عَلى زِنة فِعالٌ بمعنى مفعولٍ أي معبودَ.

فمعنى لا إلهَ إلا اللهُ: أي لا معبودَ حقٍّ إلا اللهُ، أي لا تُصرفُ العباداتُ إلا له، وأمَّا ما ذكَرَهُ المتكلِّمونَ من الأشاعرةِ وغيرِهم من أنَّ معنى: **(لا إلهُ إلا اللهُ)**، أي لا قادرَ على الاختراعِ إلا اللهُ، فهذا باطلٌ، فاللهُ هو القادرُ وحدَه على الاختراعِ والخلقِ والايجادِ، لكن ليس هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ؛ ولذا فإنَّ المشركين كانوا يُقِرُّونَ أنَّ القادِرَ على الاختراعِ هُوَ اللهُ تعالى وحدَه، ولم يكونوا يقولونَ لا إلهَ إلا

اللهُ، بل كانوا يأبَون أن يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ؛ لأنَّ معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» أي لا تَعبدْ إلا اللهَ، لا تُوجِّهِ العبادةَ إلا إليه، ولذا قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥].

قوله: («لا إِلَهَ»: نَافِيًا جَمِيْعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، «إِلَّا اللهُ»: مُثْبِتًا العِبَادَةَ للهِ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَهُ فِي عِبَادَتِه كَمَا أَنَّه لَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ فِي مُلْكِه)، فجمعت بينَ النفيِ والإثباتِ، فـ«لا إلهَ»: نفيٌ، و«إلا اللهُ»: إثباتٌ.

«لا إلهَ»: تنفي العبادةَ عمَّا سِوى اللهِ، و«إلاَّ اللهُ»: تَحصرُها له سبحانه وتعالى، وهذا هو معنى قولِه تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، أي: لا إلهَ، نافيًا جميع ما يعبد دون الله.

﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، أي: إلا اللهُ، مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، هذا هو معنى لا إلهَ إلا اللهُ، الكفرُ بالطاغوتِ والإيمانُ باللهِ، ولذا فإنه لا بدَّ -كما تقدَّمَ- من البراءةِ من الشركِ وأهلِه.

وعلى ذلك: فالذي يقولُ: أنا آمنتُ باللهِ. و لا يكفرُ بالطاغوتِ، لا يكونُ قدِ استمسكَ بالعروةِ الوُثقَى، فلا بدَّ أن يكفرَ بالطاغوتِ ويؤمنَ باللهِ، في صحيحِ مسلمٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ؛ حَرُمَ دَمُهُ وَمَالُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله)، (١/ ٥٣)، رقم (٢٣).

إذًا لا بدَّ أنْ يكفرَ بما يعبدُ من دونِ اللهِ؛ فلوْ قالَ رجلٌ: أنا أُصلِّي وأصومُ وأعبدُ اللهَ ولا أذهبُ لهذه الأضرحةِ، لا أذهبُ لضريحِ الشيخِ فلانٍ ولا أدعو الأمواتَ من دونِ اللهِ، ولا دخلَ لي بهؤلاءِ، وما أدري عنهم ولا عن دينِهم، ولا أكفرُ بهذه الأضرحةِ، أنا لا أعملُ كعملِهم لكنِّي لا أتبرأُ مِن فِعلِهم، فهذا لا يَكفِي؛ إذْ لا بدَّ أنْ يتبرَّأَ مِنَ الشركِ وأهلِهِ؛ ولذا قالَ إبراهيمُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾، [الزخرف:٢٦-٢٧]، فالرجلُ لا يكونُ موحِّدًا حقًّا حتَّى يتبرَّأَ مِنَ الشركِ وأهلِهِ، فيضمُّ إلى عبادةِ اللهِ تبرُّؤَهُ مِنَ الشركِ والمشركينَ.

قوله: **(وَتَفْسِيرُهَا الذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**[الزُّخرُف:٢٦-٢٨])، ﴿بَرَآءٌ﴾: أيْ متبرِّئٌ من تلك المعبوداتِ التي تعبدونَها من دونِ اللهِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، وهو اللهُ، وهذا يدلُّ على أنَّ قومَ إبراهيمَ كانُوا يعبدونَ اللهَ لكنَّهُم يعبدونَ معه غيرَهُ؛ ولذا استثنَى إِبْرَاهِيم عليه السلام ربَّهُ وإلهَهُ، يَعني إنَّني براءٌ من جميعِ المعبوداتِ التي يعبدُهَا قومِي إلَّا اللهَ.

قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ﴾، هذه الكلمة -هي كلمةُ التوحيدِ- جعَلَها باقيةً في عقِبِه، يَعني في ذُرِّيَّتِه لعلَّهم يَرجعونَ، ولا يزالُ في ذريّةِ إبراهيمَ العلمُ ولا يزالُ فيهمُ التوحيدُ، وكان الأنبياءُ من ذرِّيتِه إلى نبيِّنا محمدٍ الذي هو خاتَمُ النبيِّينَ.

قوله: (وقولُه تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟

﴿اَشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾)، والأربابُ هنا كما تقدَّمَ أي: (الآلهة)، فدلَّ هذا على أن صرفَ شيءٍ منَ العبادةِ إلى الأنبياءِ والأولياءِ شركٌ أكبرُ، وأنَّ من فعلَ ذلك فقد اتخذَهم أربابًا من دونِ اللهِ.

قوله: (وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ، قولُه تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾)،﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ **أي**: من جنسِكم فهو من بني آدمَ، وهو عربيٌ منكم يتكلمُ بلغتِكم يا معشرَ العربِ فهو من جنسِكم، ليس بملَكٍ لا تأنسونَ به، وليس أيضًا بأعجميٍّ لا تفهمون لغتَه.

وقُرِئت: (أنفَسِكم)، أي: إنه من أشرفِكم وأعلاكم قَدْرًا، وهو كذلك ﷺ فهو أشرفُ الخلقِ ﷺ.

وهذا أيضًا سببٌ في قبولِ دعوتِه، فإنَّ الناسَ يُذعنونَ لأشرافِهم ما لا يُذعنونَ بِهِ لمن هم دونَهم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي يَشُقُّ عليه ما يلحقُكم من حرجٍ، يثقُلُ عليه ﷺ أن يلحقَكم حَرَجٌ في دينكِم فهو ﷺ حريصٌ على التخفيفِ والتيسيرِ على هذه الأمةِ ﷺ، ورفعِ الحرجِ عنها ومن هنا يُعلمُ أنه ليس في تشريعاتِه ﷺ حَرجٌ ولا عُسرٌ.

قوله: (وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيْقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وأَنْ لا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ)، هذا هو مقتضى شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، **مقتضاها**: أن تُطيعَه فيما أمرَكَ، وأن تجتنبَ ما نهاك عنه، وأن تُصدِّقَه بما أخبرَك به، وألَّا تعبُدَ اللهَ إلا بما شرَعَه.

فتُطيعُه فيما أمرَ كالتوحيدِ والصلاةِ، وتجتنبُ ما نهى عنه وزجرَ كالشركِ، وعقوقِ الوالدين، وقطيعةِ الرحمِ، وغيرِ ذلك من المعاصي، وتُصَدِّقُه فيما أخبرَكَ به ﷺ وتُؤْمِنُ أنه الصادقُ المصدوقُ، وأيضًا لا تعبدُ اللهَ تعالى إلا بما شَرَعَه، فلا تتجاوزُ ذلك: «**اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ**»(١) فلا تتعبدْ للهِ عَزَّوَجَلَّ بما يستحسنُه عقلُك وهواك أو عقولُ غيرِك وأهواؤُهم، وإنما تعبدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بما شرعَه اللهُ تعالى في كتابِه أو على لسانِ رسولِه ﷺ، وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"(٢)

قوله: (وَدَلِيْلُ الصَّلاةِ والزَّكَاةِ وَتفْسِيْرُ التَّوْحِيْدِ قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، وَدَلِيْلُ الصِّيَامِ قَوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ على الذين قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، وَدَلِيْلُ الحَجِّ قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾)، فهذه هي أركانُ الإسلامِ، والركنُ هو جانبُ الشيءِ الأقوى منه، ليس خارجًا عنه بل هو جزءٌ منه، فهذه هي أركانُ الإسلامِ.

ولا يَكفُر على الصحيحِ من قولَيْ العُلماءِ بتركِ شيءٍ من هذه الأركانِ إلا الصلاةَ، وقد ذهبَ بعضُ السلفِ إلى تكفيرِ تاركِ الزكاةِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُم إِلَى تَكْفِيرِ تَارِك الصُّوم، وذهبَ بعضُهم إلى تكفيرِ تاركِ الحجِّ.

والصوابُ: أنه لا يُكفرُ إلا بتركِ الصلاةِ.

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٢٨٨)، رقم (٢١١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) بنحوه، ومسلم (١٧١٨) واللفظ له.

قوله: (المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ وَهُو: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)[1]،والإيمانُ: هو عقيدةٌ فِي الجَنانِ، ونُطقٌ باللسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأركانِ، يَزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالعصيانِ.

أولًا: القلب له قول وعمل:

فقولُ القلبِ: هو إقرارُه واعترافُه.

وعملُ القلبِ: هو حركتُهُ بعقائدِ الإيمانِ؛ مِن توكُّلٍ وخوفٍ ورجاءٍ، فهذه كلُّها أعمالُ قلوبٍ؛ فالتوكلُ من أعمالِ القلوبِ، والخوفُ من أعمالِ القلوبِ، والرجاءُ من أعمالِ القلوبِ، واستعانتُه ورَغْبَتُهُ، ورهبته كذلك.

ثَانِيًا: **القولُ باللسانِ** من أجزاءِ الإيمانِ، فلا يكفِي أن يُقِرَّ العبدُ بقلبِهِ حتى ينطقَ بلسانِهِ الشهادتَيْنِ؛ شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسول الله، لا يصحُّ إيمانُه إلّا بالنُطقِ بِها.

وهناك أيضًا أقوالٌ هي من الإيمانِ؛ كتلاوةِ القرآنِ، وذكرِ اللهِ، هذه كلُّها من أقوالِ اللسانِ التي هي منَ الإيمانِ؛ فأعلاها قولُ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأدناها الكلمةُ الطيِّبةُ تقولُها فينشرحُ بها صدرُ أخِيكَ المسلمِ ويَأنَسُ بِها.

ثَالِثًا: **أَعْمَال الجوارحُ** هي منَ الإيمانِ؛ كالصلاةِ، قال الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، يَعني صلاتَكم كما قال المفسِّرون[2]؛ لأنّ الناسَ قَالُوا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (شعب الإيمان)، (١/ ٦٣)، رقم (٥٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١٦٧)، الهداية، لمكي (١/ ٤٨٤)، تفسير البغوي (١/ ١٧٧)، تفسير القرطبي (٢/ ١٥٨).

مَا حالِ مَن صلَّى إلى بيتِ المقدسِ وَمَات قبل أن تتحوَّلَ القلبةُ، ما حالُهُ وما حالُ صلاتِهِ؟ فقال الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾؛ أيْ صلاتَكم إلى بيتِ المقدسِ السابقةُ هذه، لا يُضيعُها اللهُ؛ لأنّكم كنتم مأمورِينَ بها، وكنتم مُمْتَثِلِينَ لشرعِ اللهِ فيها.

كذلك الزكاةُ إيمانٌ، والصدقةُ إيمانٌ، فهو –أي الإيمانُ– كما جاء في الحديثِ: «**بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(١).

والإيمانُ كذلك يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، قالَ تعالَى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقالَ تعالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، وفي الحديثِ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا**»(٢).

وذكرَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ له شُعَبًا، فالإيمانُ له شُعَبٌ كما أن الكفرَ له شُعَبٌ، وعلى ذلك فالمسلمُ قد يكونُ فيه شيءٌ من شُعَبِ الكُفْرِ – أي الكُفْرِ الأصغرِ – ويكونُ فيه شُعَبٌ من شُعَبِ الإيمانِ، فيكونُ عندَه حياءٌ مثلًا والحياءُ من الإيمانِ، ويكونُ عنده صدقٌ والصدقُ من الإيمانِ، وقد يكونُ عنده طعنٌ في الأنسابِ، والطعنُ في الأنسابِ من شُعَبِ الكفرِ، كذلك أيضًا قتلُ المسلمِ هذا من الكفرِ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (شعب الإيمان)، (١/ ٦٣)، رقم (٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (السنة)، باب (الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)، (٧/ ٧٠)، رقم (٤٦٨٢)، والترمذي، أبواب (الرضاع)، باب (ما جاء في حق المرأة على زوجها)، (٣/ ٤٥٨)، رقم (١١٦٢)، وأحمد في مسنده (١٢/ ٣٦٤)، رقم (٧٤٠٢).

الأصغرِ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١) أي من الكفرِ الأصغرِ.

والمسلمُ بقدرِ ما يكونُ عندَه من شُعبِ الإيمانِ يُحَبُّ ويُوَالَى، وبقدرِ ما يكونُ عندَه من شُعَبِ الكُفر يُبْغَضُ، وعلى ذلك فيكونُ الإنسانُ يُبْغَضُ من جهةِ أعمالِه المخالفةِ للشرعِ، ويُوالى ويحبُّ ويُناصرُ من جهةِ أعمالِه التي يُوافِقُ فيها الشرعَ.

فإنَّ المسلِمَ أخٌ للمسلمِ، فلوكانَ المسلمُ من أهلِ الفسوقِ ومن أهلِ الكبائرِ فإنَّ له ولايةً؛ لأنه مسلمٌ عنده أصلُ الإسلامِ، والمسلمُ أخو المسلمِ لا يخذُلُه ولا يُسلمُه فبقدْرِ ما يكونُ عنده إيمانٌ تكونُ محبتُه ونصرتُه، وبقدرِ ما يكونُ عنده من فسوقٍ وكبائرَ يكونُ بُغضُه.

واعلم أن الفرق بين الإسلام والإيمان: من المسائل التي أطال العلماء في بيانها في كتب العقائد، وحاصل ما يقررونه في هذا: أنه إذا ورد أحد هذين اللفظين مفردًا عن الآخر فالمقصود به دين الإسلام كله، ولا فرق حينئذ بين الإسلام والإيمان.

وأما إذا ورد هذان اللفظان معًا، **فالإيمان يراد به**: الأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب كالإيمان بالله تعالى، وحبه، وخوفه، ورجائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والإخلاص له، والإيمَان بملائكته، وكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، واليومِ الآخر، والقدرِ خيره وشره.

وأمَّا الإسلام: فيراد به الأعمال الظاهرة مِن صَلَاةٍ وَغَيرِها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر)، (١/ ١٩)، رقم (٤٨). مسلم كتاب (الإيمان)، باب (بيان قول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»)، (١/ ٨١)، رقم (٦٤).

قوله: (وَأَرْكَانُه سِتَّةٌ: أنْ تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، والدَّلِيْلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُه تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾)[البقرة:١٧٧].

وَدَلِيل القدر؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩].

والإيمانُ له أركانٌ:

- **الركنُ الأولُ**: الإيمانُ باللهِ.
- **الركنُ الثاني**: الإيمانُ بالملائكةِ.
- **الركنُ الثالثُ**: الإيمانُ بالكتبِ.
- **الركنُ الرابعُ**: الإيمانُ بالرسلِ.
- **الركنُ الخامسُ**: الإيمانُ باليومِ الآخِرِ.
- **الركنُ السادسُ**: الإيمانُ بالقَدَرِ؛ خيرِه وشرِّه.

أمَّا الإيمانُ باللهِ: فهو أن تؤمنَ بوجودِهِ، وبربوبيَّتِه، وألوهيَّتِه، وأسمائِهِ وصفاتِه؛ **لأنَّ التوحيدَ على ثلاثةِ أنواعٍ: توحيدِ الربوبيَّةِ، وتوحيدِ الألوهيَّةِ، وتوحيدِ الأسماءِ والصِّفاتِ.**

وقد جاءتْ هذه الأنواعُ في الكتابِ والسُّنةِ، وَعُرِفَت بالاستقراءِ وكذلك أيضًا بالنصِّ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، هذه هي الربوبيَّةُ، ﴿فَاعْبُدْهُ﴾، هذه هي العبادةُ، توحيدُ الألوهيَّةِ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، هذا هو توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ، فجاءتْ أنواعُ التوحيدِ الثلاثةُ مجموعةً في هذه

الآيةِ الكريمةِ.

۞ **فتوحيدُ الربوبيَّةِ:** إيمانُكَ بأنَّ اللهَ هو ربُّكَ وخالِقُكَ، وأنَّه هو الذي يرزقُكَ ويرزقُ الخلقَ أجمعينَ، ويُحيِيكَ ويُمِيتُكَ، ويُدبِّرُ أمورَكَ وشؤونَكَ، كذلك جميعِ الخلقِ؛ فهو الذي يتولَّى أمورَهُم ويُدبِّرُ شؤونَهم، وهو الذي يرزقُهم ويُحيِيهِم ويُميتُهم، وهو خَالِقُ الخلقَ أجمَعِين..

وهذا النوعُ من التوحيدِ وهو توحيدُ الربوبيَّةِ، يُقِرُّ به الخلقُ كلهم حتى المشركونَ الذين بُعثَ إليهم الرسولُ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ [لقمان:٢٥]، حتى فرعونُ فَقَد جَحَدَهُ واستيقَنَهُ قلبُهُ، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل:١٤]، إلَّا ما عُرفَ في الأزمنةِ المتأخِّرةِ عن المُلحِدِينَ الشيوعِيِّين؛ فإنَّهم يُنكرونَ الربوبيَّةَ من أجلِ أن يفعلوا ما شاؤوا، لا يَحجُبُه إيمانٌ ولا يمنعُه دينٌ، وكانوا يقولون:(**الدينُ هو أفيونُ الشعوبِ!!**)، يريدون أن يفعلوا ما شاؤوا فلا يمنعُهُم دينٌ، ثُم آلَ أمرُهم إلى الرجوعِ إلى الأديانِ.

وهذا النوعُ لا يَكفي في دخولِ العبدِ إلى الإسلامِ؛ لأنَّ أبا جهلٍ كان يُقِرُّ بهِ.

۞ **توحيدُ الألوهيَّةِ:** الذي تقدَّمَ شرحُهُ، وهو إفرادُ العبدِ ربَّهُ بالعبادةِ، لا يُشركُ به شيئًا، وهذا هو الذي وَقَعَت به الخصومةُ بين الرُّسُل وأقوامِهِم.

۞ **توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ:** وهو أن يؤمنَ العبدُ بما وصفَ اللهُ به نفسَهُ، أو وَصَفَه به رسولُهُ في كتابِه، أو في سُنَّةِ نبيِّهِ، يؤمنُ بذلك على جهةِ الحقيقةِ لا على جهةِ المجازِ، ولا يُشبِّهُ اللهَ بخَلْقِه؛ فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويدخل في ذلك الإيمان بالصفات الذاتية التي لا تنفك عنه جل وعلا كالوجه، واليدين، والعينيين، والعلو على الخلق وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة.

كما يدخل في ذلك الإيمان بالصفات الفعلية كالاستواء على العرش، والمجيء يوم القيامة للفصل بين العباد، ورضاه، وسخطه، وغضبه، ونزوله إلى السماء الدنيا إذا كان ثلث الليل الآخر.

۞**وأمَّا الإيمانُ بالملائكةِ**؛ فنؤمنُ بما جاءَ من أسمائِهم كجبريلَ، ونؤمنُ بأنَّ لهم وظائفَ وأعمالًا فمنهم الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام، ومنهم الموكل بالقطر وهو ميكائيل، ومنهم بالنفخ بالصور وهو إسرافيل، ومنهم ملك الموت، ومنهم الكتبة الحفظة وغير ذلك.

وأنهم يُطيعونَ اللهَ ولا يَعصُونَه، وأنهم خُلِقوا من نورٍ كما جاء هذا في صحيحِ مسلمٍ(١).

۞**أمَّا الإيمانُ بالرسلِ**: فنؤمنُ بأنَّ اللهَ ما من أُمَّةٍ إلَّا وبعثَ الله لها رسولًا: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]، وأنَّ عدد الرسل -كما جاءَ في مسندِ الإمامِ أحمدَ(٢)- كعددِ أهلِ بدرٍ، ثلاثُمائةٍ وبضعةَ عشرَ، وأمَّا الأنبياءُ فعددُهم كثيرٌ، يبلغُ مائةً وأربعةً وعشرينَ ألفًا، كعددِ الصَّحابةِ.

فإنْ قيلَ: ما الفرقُ بينَ الرسولِ والنبيِّ؟

- **فالجوابُ: أنَّ الرسولَ** أُرسِلَ إلى قومٍ مخالِفِينَ، يَعني إلى قومٍ مشركينَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الزهد والرقائق)، باب (في أحاديث متفرقة)، (٤/ ٢٢٩٤)، رقم (٢٩٩٦).

(٢) ينظر: مسند أحمد، (٣٥/ ٤٣١)، رقم (٢١٥٤٦)، و(٣٦/ ٦١٨)، رقم (٢٢٢٨٨).

يُدعوهُم إلى توحيدِ اللهِ، هذا هو الرسولُ، وقد تكونُ له شريعةٌ كموسى، وقد تكون شريعتُهُ هي شريعةَ مَن قبلَه كيوسفَ، فيوسفُ رسولٌ؛ لأنَّه أُرسلَ إلى فرعونَ وقد كان فرعونُ مخالفًا مُشرِكًا.

ولذا، جاءَ في القرآنِ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر:٣٤]، فيوسفُ رسولٌ، لكنَّ شريعتَه هي شريعةُ جدِّه إمامِ الحنفاءِ إبراهيمَ عليهِ وعلى يوسفَ وعلى رسولنا محمد صلاةُ اللهِ وسلامُهُ، إذًا يوسفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رسولٌ لكنَّ شريعتَه هي شريعةُ إبراهيمَ.

وأمَّا موسى فله شريعةٌ مختصَّةٌ به، هذا هو الرسول.

وأمَّا النبيُّ فهو الذي يُوحى إليه، ويُبلغُ عن الله وحيه على الصحيحِ، لكنَّهُ لقومٍ موافقين غيرِ مخالِفِينَ وليسوا مشركينَ؛ كآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأنَّ ذريَّةَ آدمَ الذين بُعِثَ فيهم -وهم أولادُه- لم يكونوا مُشرِكِينَ.

كذلك أيضًا أكثر أنبياءُ بَنِي إسرائيلَ، لم يكونوا رُسُلًا، بل كانوا يُنبؤون ويُبلغون بَني إسرائيلَ الذين هم أتباعُ موسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فبنو إسرائيلَ كانتْ تَسُوسُهم الأنبياءُ، كلَّما ماتَ نبيٌّ بعثَ اللهُ نبيًّا كما جاءَ في الصحيحِ(١)، وأمَّا هذه الأُمَّةُ فإنَّها تُساسُ بالعلماءِ.

لذا، فإنَّ علماءَ هذه الأمَّةِ ليسوا كعلماءِ بني إسرائيلَ، بل هم علماءُ خيرٍ ليسوا

(١) أخرجه البخاري، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل)، (٤/ ١٦٩)، رقم (٣٤٥٥)، ومسلم، كتاب (الإمارة)، باب (الأمر ببيعة الخلفاء الأول فالأول)، (٣/ ١٤٧١)، رقم (١٨٤٢).

بعلماءِ سُوءٍ، ولذا جاء في الحديث: «**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**»(١) صححه أحمد، وابنُ عبدِ البَرِّ، وقالَ النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»(٢) رواه أبو داودَ.

فهذه الأمَّةُ محفوظةٌ بالعلماءِ الرَّبَّانِيِّينَ الصالِحِينَ، وإنْ وجد في هذه الأمَّةِ علماءُ سُوءٍ، لكن الغالب في حَمَلَةِ الوحيِ وحملةِ السُّنةِ أن يكونوا علماءَ خيرٍ وصلاحٍ، وليسوا كعلماءِ بني إسرائيلَ.

۞**الركنُ الرابعُ: الإيمانُ بالكتبِ؛** وهي الكتبِ المنزَّلةِ التي أنزَلَها اللهُ إلى رُسُلِهِ، منها ما سمَّاهُ اللهُ لنا ومنها ما لم يُسَمِّهِ، فنؤمنُ بما سمَّاهُ اللهُ لنا باسمِهِ؛ كالتوراةِ، والإنجيلِ، والزَّبورِ، وصُحُفِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونؤمنُ أنَّ هناك كتبًا أنزَلَها اللهُ إلى رُسُلِه لا نعرفُ اسمَها، فنؤمنُ بأنَّ هذه الكتبَ هي كلامُ اللهِ، حروفُها وجُمَلُها كلُّها من اللهِ، تكلَّمَ اللهُ بها على جهةِ الحقيقةِ.

فالذي قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]، هو اللهُ، والذي قالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، هو الله، تكلَّمَ به على جهةِ الحقيقةِ لا على جهةِ المجازِ؛ فاللهُ يتكلَّمُ بكلامٍ يتكوَّنُ من حروفٍ، ويتكلَّمُ بصوتٍ يُسمَعُ.

إذا قال الله:﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، فهذا كلامٌ يتكوَّنُ من حروفٍ، ويسمعُ هذا

---

(١) أخرجه البزار (١٦/ ٢٤٧)، رقم (٩٤٢٩)، وصححه الإمام أحمد وابن عبدالبر.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب (الملاحم)، باب (ما يذكر في قرن المائة)، (٤/ ١٠٩) رقم (٤٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٧)، رقم (٨٥٩٢). وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

عيسى ابنُ مريمَ يومَ القيامةِ؛ إذًا هذه الكتبُ المنزَّلةُ هي كلامُ البارِي تكلَّمَ بها على جهةِ الحقيقةِ لا على جهةِ المجازِ.

الركن الخامس: الإيمانُ باليومِ الآخِرِ: فنؤمنُ بكلِّ ما أخبرَ اللهُ به بعد الموتِ؛ من عذابِ القبرِ ونعيمِهِ، وما يكونُ في عَرَصاتِ يوم القيامةِ، والجنَّةِ والنَّارِ، وكلِّ ما أخبرَ به في الكتابِ والسُّنةِ ممَّا يكونُ بعد الموتِ، فنؤمنُ به كما أخبرَ اللهُ بهِ وأخبرَ بهِ رسولُه.

الركن السادس: الإيمانُ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه؛ فتؤمنُ بأنَّ ما أصابَكَ لم يكنْ لِيُخطِئَكَ وأنَّ ما أخطأَكَ لم يكن لِيُصيبَكَ.

وللقدر أركانٌ أربعةٌ وهي:

الركن الأول: العلم الأزلي: فتؤمنُ بأنَّ اللهَ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلمًا؛ فعَلِمَ الله ما كان وعلِمَ ما سيكونُ، وعلمَ ما لم يكنْ لو كان كيف يكونُ كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]؛ فعِلمُ اللهِ محيطٌ بكلِّ شيءٍ، فاللهُ يعلمُ أنَّ فلانًا سيولَدُ، وأنَّ فلانًا سيُقتلُ، وأنَّ فلانًا سيُرزَقُ بكذا، يعلم ذلك في الأزل.

الركن الثاني: الكتابة بالقلم: فقد أَمَرَ القلمَ بأنْ يكتبَ، فجَرَى القلمُ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامةِ. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب... الحديث"**[1]

(١) أخرجه أبو داود في باب في القدر رقم (٤٧٠٠) (٤/ ٢٢٥)، وأخرجه الترمذي في باب سورة ن رقم (٣٣١٩) (٥/ ٢٨١).

❍**الركن الثالث: المشيئة**: فلا يكون شيءٌ في هذا الكونِ إلَّا وقد شاءَهُ الله وأرادَهُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

❍**الركن الرابع: الخلقُ والإيجاد**: فاللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ، قالَ تعالَى:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، وفي الحديثِ: «**اللهُ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**»(١).

قوله: (المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ -رُكْنٌ وَاحِدٌ-، وهو: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٢)، والدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾):

الإحسانُ هو المرتبةُ الثالثةُ من مراتبِ الدين، وهو أعلى مراتبِه.

ومعنى هذه المرتبةِ: أن تُراقبَ اللهَ في قولك وعملك، وتعلمَ أنَّ اللهَ يراكَ، وأنَّ اللهَ يسمعُ قولَكَ، وأنَّه لا يخفى عليه شيءٌ من أفعالِكَ، فتُحْسِنَ عملَك.

فاللهُ يراكَ وأنت تُصلِّي، يراكَ وأنتَ تتصدَّقُ؛ فأحسِنْ عملَكَ-وإحسانُ العملِ بأنْ تُخلِصَهُ للهِ، وأن يكونَ صوابًا على السُّنةِ- قالَ تعالَى:﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢]، فـ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: يعني أخلصَ، ﴿وَهُوَ

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، باب (أفعال العباد)، (ص٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة، (١/ ١٥٨)، رقم (٣٥٧)، والحاكم في المستدرك، (١/ ٨٥)، رقم (٨٥)، وقال: على شرط مسلم.

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة أخرجه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة)، (١/ ١٩)، رقم (٥٠). مسلم كتاب (الإيمان)، باب (معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة)، (١/ ٣٦)، رقم (٨).

﴿مُحْسِنٌ﴾: أي مُتَّبِعٌ للسُّنةِ، فاللهُ لا يقبلُ مِنَ العملِ إلَّا ما كان خالصًا له، صوابًا على سُنةِ نبيِّهِ، ولا شكَّ أنَّ الذي يراقبُ اللهَ يخشعُ في صلاتِهِ، يتدبَّرُ القرآنَ، يُحسِنُ في عملِهِ، هكذا يكونُ العبدُ متقنًا لعملِهِ محسنًا له إذا راقبَ ربَّه. ولذا، كانت هذه المرتبةُ هي أعلى مراتبِ الدِّينِ.

إذن: ثمرةُ هذه المراقبةِ إحسانُ العَمَلِ، ولذا تُسَمَّى مرتبةَ الإحسانِ، لأنَّهُ يُراقِبُ اللهَ، يعلمُ أنَّ اللهَ يعلمُ باطنَه، ويعلمُ ظاهرَه، يعلمُ ما في قلبِه من إخلاصٍ أو رياءٍ، يعلمُ ما هو عليه من متابعةٍ للسنةِ، أو ابتداعٍ، فيُحْسِنُ عملَه ويعلَمُ أنَّه يُراقبُه، يسمعُ قولَه ويرى فعلَه، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَقَوْلُه تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وَقَوْلُه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾)، فهذهِ الآياتُ فيها أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ مُطَّلِعٌ على أعمالِ عبادِه خيرِها وشرِها فيرى إحسانَ المحسنين ويرى إساءةَ المسيئينَ فيُراقِبُ المؤمِنُ ربَّه ويُحسنُ عملَه.

قوله: («والدَّلِيْلُ مِنَ السُّنَّةِ»: حَدِيْثُ جِبْرِيْلَ المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ، إذ طَلَعَ علينا رَجُلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عليهِ أَثَرُ السَّفَرِ ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إلى النبيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وقالَ: يا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليومِ الآخرِ وتُؤْمِنَ بالقدَرِ خيرِه**

وشرِّه»، قَالَ: فَأَخْبِرنِي عنِ الإِحْسَانِ؟ قالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرنِي عنِ السَّاعَةِ؟ قالَ: «ما المَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنْ أَمَارَاتِها؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ»؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم أَمْرَ دِينِكُمْ»(١).

قوله: (فَأَخْبِرنِي عنِ السَّاعَةِ؟ قالَ: «ما المَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»)،يعني يستوي في عدمِ العلمِ بوقتِهَا السائلُ والمسؤولُ، فالجميعُ يَستَوُونَ، وليس أحدٌ يتميَّزُ عن غيرِهِ في معرفةِ متى الساعة، فلا أحدَ يَدرِي متى تكونُ الساعةُ إلَّا اللهَ.

قوله: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا»، يعنِي عن علاماتِها، والساعةُ لها أشراطٌ كُبرى وأشراطٌ صُغرَى، **ومِن علاماتِها**:

قوله: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»؛ **من العلماءِ مَن قالَ**: بأنْ ينكحَ الرجلُ الأمَةَ وتلدَ له بنتًا، هذه البنتُ هي ابنةُ السيِّدِ، فهي سيدةٌ وأمُّها أَمَةٌ، فتخدُمُها أُمُّها؛ لأنَّ أمَّها أمةٌ وهي سيدةٌ. وقد كانَ هذا لمَّا كثُرتِ الفتوحاتُ، وكثرَ الرِّقُّ.

ومن العلماء من قال: أنَّ هذا دَالٌّ على كثرةِ العقوقِ، وأنَّ الأُمَّ تخدُم ابنتَها، أي تلدُ الأمُّ سيدتَها التي تأمرُها وتنهاها وهي ابنتُها، فيكونُ الأمرُ والنهيُ للبنتِ، وذلك لفسادِ المجتمعِ، يُحتملُ هذا وهذا، وإن كان المعنى الأولَ عندي أقربُ من المعنى الثاني.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب (التفسير)، باب (قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤])، (٦/ ١١٥)، رقم (٤٧٧٧). مسلم كتاب (الإيمان)، باب (معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة)، (١/ ٣٦)، رقم (٨).

قوله: «**أتاكم يعلِّمُكم دينكم**»: فيه أنَّ الدينَ تدخلُ فيه المراتبُ الثلاثُ؛ لأنه قالَ: أتاكم يعلمُكم دينكم، وقد علَّمَهُم الإسلامَ والإيمانَ والإحسانَ، فدَلَّ على أنَّ الدِّينَ له مراتبُ ثلاثٌ أعلاها الإحسانُ ثمَّ الإيمانُ ثم الإسلامُ، والله أعلمُ.

قوله: **(الأَصْلُ الثَّالِثُ مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ بْنِ إبراهيمَ الخَلِيْلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نبيِّنا أفضلُ الصلاةِ والسلام)**،وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سيد قريش، ابْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فالعربُ من بني إسماعيلَ، فنَسَبُهُ يرجعُ إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، وهو من قريشٍ الذين هم سادةُ العربِ، وبنو هاشمٍ الذين هم سادةُ قريشٍ، فهو خيارٌ من خيارٍ.

فهو مِن أنفَسِ العربِ نَسَبًا، ومن أشرَفِهم وأعلاهم حَسَبًا، وهو سيِّدُ العالَمِينَ وخيرُ الخلقِ أجمعينَ، وأكرمُ خليقةِ اللهِ على اللهِ، وهو خيرُهم منزلةً وجاهًا عندَ اللهِ من سائرِ النبيِّينَ ومن الملائكةِ أجمعينَ.

ولذا، قالَ عبدُ اللهِ بن سلامٍ: "**أكرمُ خليقةِ اللهِ على اللهِ محمدٌ، قيل له: فالملائكةُ؟ فقال: إنَّما الملائكةُ كالرِّياحِ وكالسماءِ والأرضِ، لا يَعصونَ اللهَ ما أمَرَهم**"(١)، وقد جاءَ في صحيحِ مسلمٍ: «**خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِبْرَاهِيمُ**» يَعني الخليقةَ. رواهُ

(١)أخرجه بنحوه الطبراني في المعجم الكبير، (١٣/ ١٦٧)، رقم (٤٠٠)، والحاكم في المستدرك، كتاب (العلم)، (٤/ ٦١٢)، رقم (٨٦٩٨)، وقال: صحيح. والبيهقي في شعب الإيمان، (١/ ٣٠٨).

مسلمٌ(١).

فإبراهيمُ هو في المنزلةِ الثانيةِ بعد محمدٍ؛ لأنَّ محمدًا هو سيِّدُ الناسِ يومَ القيامةِ كما جاء في الصحيحين(٢)، وفيهم إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقولُه: «**خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِبْرَاهِيمُ**» أي بعد محمد عليهما الصلاة والسلام، والبرية فيهمُ الملائكةُ وجميعُ الخلقِ.

قوله: (وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نَبِيًّا رَسُولًا)، لهُ مِنَ العُمرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، أربعونَ منها كانتْ قبلَ بَعْثَتِهِ ﷺ، وعاشَ بعدَ النُّبُوَّةَ ثَلَاثًا وَعِشْرين سنةً.

قوله: (نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ)، وقد نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، كما في الصحيحين(٣)، لكنه لم يؤمَرْ بأنْ يُبلغ الناسَ حتى نزلتِ المدثرُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾

قوله: (بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب (الفضائل)، باب (من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ)، (٤/ ١٨٣٩)، رقم (٢٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (قول الله تعالى: {إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه} إلى آخر السورة)، (٤/ ١٣٤)، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم، كتاب (الفضائل)، باب (تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق)، (٤/ ١٧٨٢)، رقم (٢٢٧٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب (تفسير القرآن)، باب (قوله: {وربك فكبر} [المدثر: ٣])، (٦/ ١٦٢)، رقم (٤٩٢٤).

تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ)، وهذا يَدُلُّ على أهميةِ التوحيدِ، فإنَّ النبيَّ ﷺ مَكَثَ في مكَّةَ يدعو إلى التوحيد عشرَ سنينَ، ولم يُؤْمَرْ بشيءٍ من الشرائعِ، والفرائضِ، وبعدَ عَشْرِ سنينَ عُرِجَ به ﷺ إلى السماءِ، وأُمِرَ بالصلواتِ الخمسِ، وهذا يدُلُّ على أهميةِ التوحيدِ وعلى أهميةِ الصلاةِ.

والعروجُ: هو الصعودُ؛ يَعني عُرِجَ به إلى السماءِ، أي رفع إلى السماءِ من بيتِ المقدسِ؛ و أُسريَ به ﷺ من مكةَ من المسجدِ الحرامِ إلى بيتِ المقدسِ، ثم عُرِجَ به حتَّى بلغَ سِدرةَ المُنتَهى.﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ النجم: ١٠

قوله: (وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، والْهِجْرَةُ فَرِيْضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وهي بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كنا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ وَقَوْلُه: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فاعبدون﴾، قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَبَبُ

نُزُولِ هَذِه الآيةِ فِي المُسْلِمِينَ الذينَ فِي مَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُم اللهُ بِاسْمِ الإيمانِ، والدَّلِيْلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُه ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حتى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»)، الهجرةُ فريضةٌ على هذه الأمةِ من بلدِ الشركِ إلى بلدِ الإسلامِ، فيجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يهاجِرَ من بلدِ الشركِ إلى بلدِ الإسلامِ معَ القدرةِ، ولا يجوزُ له أن يمكُثَ بين ظهرَانَي المشركين إلاَّ أن يكونَ يُظهرُ دينَه في بلدِ الشِّرْكِ، يُظْهِرُ التوحيدَ، ويتبرأُ من الشركِ وأهلِه، يُؤمنُ باللهِ ويكفرُ بالطاغوتِ، ويُظهرُ شعائرَ الإسلامِ، فإن كان يظهر دينه لا يجبُ عليه أن يهاجرَ عندَ أهلِ العلمِ.

إذن: إنما تجبُ الهجرةُ على الذي لا يقدرُ على إظهارِ دينِه، وأمَّا الذي يقدرُ على إظهارِ دينِه فإنَّ الهجرةَ مُستحَبَّةٌ في حَقِّه.

وهناكَ أيضًا هجرةٌ أخرى، وهي الهجرةُ من دارِ المعصيةِ إلى دارِ الطاعةِ، فهذه أيضًا نوعٌ من الهجرةِ، أن يهاجرَ منها إلى بلدِ الطاعةِ، إلى بلدٍ يكونُ فيها الناسُ من أهلِ الخيرِ والصلاحِ يأمرون بالمعروفِ وينهَون عن المنكرِ.

قوله: (فلمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِيْنَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإسْلَامِ، مِثْلِ الزَّكاةِ، والصَّوْمِ، والحَجِّ، وَالأَذَانِ، والجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإسْلَامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوفِّيَ -صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ- وَدِيْنُهُ بَاقٍ)،إذًا تعليمُ الشرائعِ كان بالمدينةِ، وتعليمُ التوحيدِ كان بمكة، وإن كانت الصلاةُ-لعِظَمِ شأنِها- قد أُمرَ بها ليلةَ أُسريَ به، قبلَ هجرتِهِ بثلاثِ سنين.

قوله: (وَهَذَا دِيْنُهُ لا خَيْرَ إلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إلَّا حَذَّرَها مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الذي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيْدُ، وَجَمِيْعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، والشَّرُّ الذي حَذَّرَها عَنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيْعُ ما يَكْرَهُ اللهُ وَيَأبَاهُ، بَعَثَهُ اللهُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى

جَمِيْعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ والإِنْسِ، والدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾)، فلا تختصُّ دعوتُه بالعربِ كما تقولُ اليهودُ، بل هو ﷺ نبيُّ الله ورسوله إلى الثقلينِ الجِنِّ والإنسِ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ:٢٨]، فدعوتُه عامَّةٌ ﷺ، وفي صحيحِ مسلمٍ: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به إلا أدخله الله النار**»(١)، ولذا فإنَّ اللهَ لا يقبلُ من الناسِ إلا الدينَ الذي بعثَ اللهَ به محمدًا ﷺ، فبعدَ بِعثتِهِ لا يقبلُ اللهُ إلا الإسلامَ، ولذا فإنَّ النَّصارى في النارِ، واليهودَ في النارِ، وهم كفارٌ لا يقبلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ منهم هذه الأديانَ التي يدينونَ بها، فلا يقبلُ اللهُ تعالى إلا الإسلامَ.

قوله: (وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣])، فَكُلُّ ما نسب إلى الدينِ مما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ ولم يأتِ به ﷺ فهو بدعةٌ كبدعةِ المولِدِ مثلًا، وبعضِ الأذكارِ البدعية التي عند المتصوفة، وتحديدِ وقتًا لبعضِ الأعمالِ الصالحاتِ لم يردْ عن النبيِّ ﷺ تخصيصها به فإنها من البِدَعِ؛ لأنَّ الدينَ قد أُكمِلَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فهو قد بلَّغَ البلاغَ المبينَ ولم يترُكْ خيرًا إلا دلَّنا عليهِ ولا شرًّا إلا حذَّرنا منه، ولذا قالَ الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من شرَعَ في الدينِ فقد زعمَ أنَّ محمدًا قد خانَ الرسالةَ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الاعتصام للشاطبي: (١/ ٤٩)، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي: (٦/ ٧٩١)

لمَ؟ لأنَّ اللهَ أخبرَ أنَّ نبيَّه ﷺ قد بلَّغَ البلاغَ المبينَ، وأنه ما تركَ خيرًا إلا أمرنا به ولا شرًّا إلا نهانا عنه ﷺ.

قوله: (والدَّلِيْلُ على مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾)، فهو ميِّتٌ ﷺ، والأمواتُ لا يسمعون كلامَ الأحياءِ، إلاَّ ما جاءَ في الدليلِ؛ كالسلامِ على الميتِ؛ ولذا قالَ ﷺ: «**فإنَّ تسليمَكم يبلغُني حيثُ كنتم**»(١)، وأما الاستغاثةُ به ودعاؤُه ﷺ والاستشفاعُ به فإنَّ ذلك كُلَّه لا يسمعُه ﷺ ولا يبلغُه، ومن دعاه ﷺ واستغاثَ به فقد كفرَ باللهِ العظيمِ؛ لأنَّ هذا من دعاءِ الأمواتِ وهو شرك أكبر.

قوله: (والنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧-١٨]، وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِم، والدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾[النجم:٣١]، وَمَن كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧])، الذي يُكذِّبُ بالبعثِ كافرٌ؛ لقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾، فالمؤمنون يؤمنون أنَّ اللهَ يبعثُهم بعد موتِهم، فيَنزلُ مطرٌ من السماءِ كمَنِيِّ الرجالِ، قد بقي من ابنِ آدمَ عَجْبُ الذَّنَبِ- الذي هو العُصْعُصُ- يبقى كأنَّه بذرةٌ في الأرضِ، فإذا نزل هذا

(١) أخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/ ٤٩)، رقم (٤٢٨)، والهيثمي في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي (٢/ ٢٦٨)، وقال المقدسي: وفِي إِسْنَاده لين.

المطرُ الذي كمَنِيِّ الرجالِ، نبتتْ منه أجسادُ الخليقةِ، ثم عادتْ إليهم أرواحُهم مع النفخ في الصور، وحُشِرُوا ونُشِرُوا بين يَدَيِ اللهِ يومَ القيامةِ.

قوله: (وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[النساء: ١٦٥]. **وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيَّ بعدَهُ؛ والدليل قوله تعالى:**﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، **وَالدَّلِيل عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[النساء: ١٦٣])، فنوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أولُ رسلِ اللهِ، كما في الحديثِ المتفَقِ عليه، أنَّ الناسَ يأتونَ يومَ القيامةِ نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقولونَ: يا نوحُ، أنتَ أولُ رسلِ اللهِ، يسألونه أن يشفعَ لهم بين يدي اللهِ؛ فهو أولُ الرسلِ.

وآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أولُ الأنبياءِ؛ فأولُ الأنبياءِ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأولُ الرسلِ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو مِن ذريَّةِ آدمَ، وآخرُ أنبياءِ اللهِ ورسلِهِ محمدٌ ﷺ، ولا نبيَّ بعدَه.

والمهديُّ الذي يُنتظر في آخر الزمان، هو من ذريَّةِ محمدٍ ﷺ وليس بنبيٍّ، وهو دونَ الصحابةِ في المنزلةِ؛ فهو رجلٌ صالحٌ يجدِّدُ اللهُ به أمرَ الدينِ في آخرِ الزمانِ، وهو محمد بن عبد الله الحسني، يرجعُ نسبُه إلى الحسن ابن علي من أولادِ فاطمةَ، لكن ليس بنبيٍّ وليس بمنزلةِ أبي بكرٍ ولا عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولا بمنزلةِ بقيَّةِ العشرةِ ولا سائرِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإنما هو رجلٌ صالحٌ. وهو من علامات الساعة الصغرى.

قوله: (وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ يَأْمُرُهُم بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَه وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، والدَّلِيلُ قَوْلُه:﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ

رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦])، فكلُّ أمةٍ من أممِ الأرضِ قد بعثَ اللهُ إليها رسُولًا إلى أن ختمَ اللهُ الرسلَ بمحمدٍ ﷺ. كُلُّ الأممِ في شرقِ الأرضِ وغربِها قد بُعثَ الله إليها رُسُلًا يدعونهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، حتى ختمَ اللهُ أنبياءَه بأفضلِهم وهو محمدٌ ﷺ.

قوله: (وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيْعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيْمَانَ بِاللهِ، قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَعْنَى الطَّاغُوْتِ ما تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوْعٍ أَوْ مُطَاعٍ)، الطاغوتُ: من طغا أي ما تجاوزَ الحدَّ، قالَ تعالَى:﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١]، يَعني تجاوزَ حدَّهُ.

فالطاغوتُ: هو ما تجاوزَ به العبدُ حدَّهُ من:

معبودٍ: كالأوثانِ والأضرحةِ التي تُعبَدُ من دونِ اللهِ.

أو متبوعٍ: وهم علماءُ السُّوءِ الذين يُحلِّونَ للناسِ ما حرَّمَ اللهُ عليهم مما هو معلوم من الدين بالضرورة من ربًا وغيره، ويحرمون الحلال المعلوم من الدين بالضرورةِ كالنكاح ويتَّبِعُهم الناس.

أو مُطاعٍ: وهم الملوكُ والسلاطينُ الذين يحكمونَ الناسَ بغيرِ شرعِ اللهِ.

قوله: (والطَّوَاغِيْتُ كَثِيْرَةٌ، وَرُؤُوْسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيْسُ -لَعَنَهُ اللهُ-)، فإبليسُ هو من رأسِ الطواغيتِ؛ ولذا قالَ إبراهيمُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾[مريم:٤٤]، فالشيطان يُعبدُ من دونِ اللهِ.

قوله: (وَمَن عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ)، الذي يُعبدُ وهو راضٍ هذا طاغوت، لكن الذي يُعبدُ وهو غيرُ راضٍ كعليٍّ والحسينِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا فلا يُقالُ إنه طاغوتٌ، لكنَّ عبادتَهما من عبادةِ الطاغوتِ.

قوله: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ)، كذلك هذا طاغوتٌ، مثل فرعون.

قوله:(وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ)، كالكهنةِ، والسحرةِ والمنجمينَ، وغيرهم فإنَّ هؤلاءِ كُلَّهم طواغيتُ.

قوله: (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ)، كذلكَ من حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ فهو طاغوتٌ، فإن كانَ قد شرَّعَ تشريعًا عامًا واعتقد أنَّ هذا القانونَ فيه مصلحةٌ وفيه خيرٌ وفيه عدالةٌ وأنه أحسن من شرع الله فهو كفرٌ أكبر.

وأمَّا القاضي الذي يحكمُ في بعضِ القضايا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، إما لرِشوةٍ وإما لرهبةٍ أو لرغبةٍ فإن هذا لا يكفرُ، أي بعضُ القضاةِ مثلًا قد يحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ في مسائلَ، يأتيه مثلًا الزاني الذي يثبتُ عليه الزِّنَا بأربعةِ شهودٍ، ثم لا يقيمُ عليه الحدَّ؛ لشرفِه أو رغبةٍ أو رهبةٍ، هذا لا يكفرُ، وإنما هذا من كبائرِ الذنوبِ، وأما الذي يضعُ قانونًا ويعملُ به ويكونُ تشريعًا عامًا ويرى أنه هو العدل، وأنه من المصلحة، وأنه أحسن من شرع الله فإنَّ هذا من الكفرِ الأكبرِ.

قوله: (والدَّلِيْلُ قَوْلُه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٥]، وَهَذَا مَعْنَى "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، وفِي الحديثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١)واللهُ أَعْلَمُ).

فـ"لا إلهَ إلا اللهُ" هي العروةُ الوثقى، الإيمانُ باللهِ والكفرُ بالطاغوتِ.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب (الصلاة)، باب (ما جاء في حرمة الصلاة)، (٤/ ٣٠٨)، رقم (٢٦١٦)، وأحمد (٣٦/ ٣٤٥)، رقم (٢٢٠١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

"لا إلهَ": تشتمل على الكفرُ بالطاغوتِ.

و"إلا اللهُ": تشتمل على الإيمان باللهِ وفيه قصرُ العبادةِ وحصرُها به تعالى دونَ ما سواه.

واللهُ أعلمُ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين

شَرْحُ

القَوَاعِدِ الأَرْبَعِ

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ
رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لفضيلةِ الشيخِ
حمد بنِ عبدِ اللّه الحمد
حفظَه اللهُ

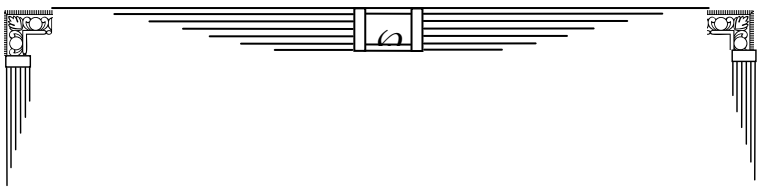

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعينُ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ

القواعدُ الأربعُ:

شرح القواعد الأربع:

قالَ الإمامُ المجدِّدُ وشيخُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً- في كتابِ القواعدِ الأربعِ:

(أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وأنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ).

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وبه نستعينُ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ.

وبعدُ:

فبينَ أيدينا رسالةٌ فيها قواعدُ أربع للإمامِ المجدِّدِ المصلح شيخِ الإسلامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه القواعدُ الأربعُ فيها الردُّ على شُبَهِ المبطلِينَ في تَوْحِيدِ العِبَادَةِ الذين يَدْعُونَ مِنْ دُوْنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا آلهةً يَنذِرُون لها ويذبحون،

ويقولون لهم جاهٌ عند الله من الأولياء والصالحين، فقرَّرَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه القواعِدِ الأربعِ بطلانَ هذا المذهبِ، وبطلانَ ما استدلُّوا به من شُبَهٍ.

وافتتحَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابَه بالدعاءِ لطالبِ العلمِ الذي يقرأُ هذا الكتابَ، وهذا من حُسنِ تعليمِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنَّ هذا له أثر على طالبِ العلمِ، وفيه أيضًا الرفق بطالبِ العِلمِ.

قولُه: (فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ)،ومعنى **عنوانِ السعادةِ**: أي ما يُسْتَدَلُّ به عليها.

قولُه: (اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيّةَ مِلَّةُ إبراهيمَ: أَنْ تعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا له الدينَ كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾)، فهذا هو الدينُ الذي بعثَ اللهُ-تعالى- به رُسُلَه وهذه هي الحنيفيَّةُ التي كانَ عليها إمامُ الحُنَفَاءِ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهي التي قالَ اللهُ فيها: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾، فَمن تركَ هذه الملةَ فقد سفِهَ نفسَه، ووقعَ في الشِّركِ.

قولُه: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِه فَاعْلَمْ: أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلَّا مع الطَّهَارَةِ، فإذا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ كالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ. فإذا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَها وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُه مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أنّ أهمَّ ما عَلَيْكَ: مَعْرِفَةُ ذلِكَ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ باللهِ الذي قالَ اللهُ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِه)، فالشِّركُ إذا دخلَ في العبادةِ أفسدَها، فلابدَّ من التوحيدِ، فإذا كانَ الرجلُ يصومُ ويصلِّي ويشهدُ الجماعةَ ويقومُ الليلَ ويتصدقُ، لكنه ينذِرُ للأمواتِ من دونِ اللهِ ويدعُوهم، ويستغيثُ بهم، ويسألُهم من دونِ اللهِ فقد أشركَ باللهِ.

فمن كانَ يعبدُ اللهَ جَلَّوَعَلَا ويعبدُ معَه غيرَه فهو مشركٌ باللهِ، والتوحيدُ هو أن يعبدَ اللهَ وحدَه، ولا يشركَ به شيئًا؛ وهذا المشرك قد جمعَ بين عبادةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا وبين عبادةِ غيره.

قولُه: ﴿القَاعِدَةُ الأُوْلَى: أَنْ تَعْلَمَ أَنّ الكفّارَ الذينَ قاتلَهم رسولُ اللهِ ﷺ يُقِرُّون بأنّ اللهَ -تعالى- هو الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وأنّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَام، وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾﴾، فعباد القبور يقولونُ إننا لسنا كالمشركين الذين بُعِثَ إليهمُ النبيُّ ﷺ؛ فإنهم كانوا لا يُقِرُّونَ بالخالقِ، ولا يؤمنون بأنَّ اللهَ هو الربُّ.

والجوابُ: بهذه القاعدةُ فنقولُ لهم: إنَّ الكفارَ الذين بُعِثَ إليهم النبيُّ ﷺ كانوا مُقِّرين بأنَّ اللهُ هو الخالقُ الرازقُ المدَبِّرُ لشؤونِهم المتصرِّفُ بأحوالِهم جَلَّوَعَلَا فهو الذي يخلقُ، وهو الذي يرزقُ، وهو الذي يُحيي، وهو الذي يُميتُ، كانوا مُقِّرين بهذا للهِ، لكنهم كانوا يُنكرونَ توحيدَ العبادةِ قالَ تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، **أي**: أفلا تتَّقونَ اللهَ فتُفردونه بالعبادةِ ولا تعبدون معه غيرَه.

إذًا هذه القاعدةُ فيها ردٌّ على المشركين المعاصرين الذين يقولون إنَّ المشركين الأُوَلَ الذين بُعِثَ إليهمُ النبيُّ ﷺ ما كانوا مُقِرِّينَ بالربوبيةِ، فنقولُ لهم: بل كانوا مقرين بالرُّبوبيَّةِ، ولم يُدخلْهم هذا في الإسلامِ كما بيَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا ذلك في آياتٍ كثيرةٍ من كتابه.

قولُه: ﴿القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: أَنّهُمْ يَقُوْلُوْنَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا

لِطَلَبِ القُرْبَةِ والشَّفَاعَةِ، فَدَلِيْلُ القُرْبَةِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿والذين ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أولياء مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا ليقربونا إلى الله زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾)، أي إنَّ الكفارَ الذين بُعِثَ إليهم النبيُّ ﷺ كانوا يقولون نحن ما سألنا الأندادَ، ولا دعوناهم إلا لأجل القُربةِ والشفاعةِ، فيقولون إنَّ لهم منزلةً عند اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فنحن لهذه المنزلةِ التي لهم ندعوهم ليكونوا لنا شفعاءَ عند الله لا نعتقدُ أنهم ينفعون ولا يضرون، ولا أنهم يُحيون ولا يُميتون ولا يرزقون ولا يُنزلونَ المطرَ ولا يتصرفون في هذا الكونِ، ولا يخلقون؛ بل الذي يفعلُ ذلكَ كُلَّه هو اللهُ جَلَّوَعَلَا لكننا نتخذُهم شفعاءَ لما لهم عند اللهِ من الجاهِ والمنزلة فنحنُ لهذه المنزلةِ نتخذُهم شُفَعَاءَ.

فاللاتُ مثلًا كانَ رجلًا يَلُتُّ السويقَ للحاجِّ، ويُطعمُ الحاجَّ، وكانَ رجلًا صالحًا، فلما ماتَ عكفوا على قبرِهِ، واتخذوه شفيعًا لهم، وواسطةً بينهم وبينَ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

قال تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا ليقربونا إلى الله زُلۡفَىٰٓ﴾، أي ما نعبدُهم لشيءٍ إلا ليُقرِّبونا إلى اللهِ زُلفى، ما نعبدُهم لاعتقادِ أنهم ينفعون أو يضرون، الذي ينفعُ ويضرُّ هو اللهُ جَلَّوَعَلَا لكنا نعبدُهم ليُقرِّبُونا إلى اللهِ زلفى.

والزُّلْفَى: القُرْبَى والمنزلةُ، أي لِيُقَرِّبُونا إليه تقريبًا.

وهذا كذِبٌ على اللهِ وافتراءٌ عليه، ولذا قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾.

قولُه: (وَدَلِيْلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَان: شَفَاعَةٌ

مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ: فَالشَّفَاعَةُ المَنْفِيَّةُ ما كانت تُطْلَبُ من غيرِ اللهِ فيما لا يَقْدِرُ عليهِ إلاّ اللهُ، والدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أنفقوا مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قبل أن يأتي يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ هي: التي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، والشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، والمَشْفُوْعُ لَهُ: مَنْ رضيَ اللهُ قَوْلَهَ وَعَمَلَه بَعْدَ الإِذْنِ كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾).

الشفاعةُ نوعانِ:

شفاعةٌ مثبتةٌ.

وشفاعةٌ منفِيَّةٌ.

فالشفاعةُ التي كانَ الكفَّارُ يعتقدونها في أوثانهم هذه منفيَّةٌ، لأنهم يطلبون من هؤلاءِ الشفعاءِ مالا يقدرُ عليه إلا اللهُ، ويقولونَ إنَّ هؤلاءِ الشُّفَعَاءَ لهم جاهٌ عند اللهِ، فنحن نسألُهم، واللهُ يُعطيهم ذلك لنا، ولذا يقولون إنَّا نسألُهم لوجاهتِهم، ولمنزلتِهم عندَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَالحُجَّابِ والوزراءِ عند الملوكِ، هذا هو اعتقادُهم، فهذه الشفاعةُ هي التي نفاها اللهُ جَلَّوَعَلَا.

واشترطَ في الشفاعةِ المُثبتة شرطينِ:

الشرطُ الأوَّلُ: أن تكونَ الشفاعةُ بعد إذنِ اللهِ جَلَّوَعَلَا فلا أحدَ يشفعُ إلا بعدَ أن يأذنَ اللهُ له في الشفاعةِ؛ ولذلك النبيُّ ﷺ يومَ القيامةِ عندما يشفعُ للخلقِ ليُفصَل بينهم لا يشفعُ ابتداءً حتى يستأذنَ ربَّه سبحانه وتعالى ويسجُدَ له فيقولُ اللهُ جَلَّوَعَلَا له يا محمدُ ارفعْ رأسَكَ، وقل يُسمعْ، وسل تُعطَ، واشفعْ تُشَفَّعْ(١).

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل أخرجه البخاري(٣٣٤٠)، ومسلم(١٩٤)

الشرطُ الثاني: أن يرضى اللهُ عن المشفوعِ له، فإذا كانَ المشفوعُ له مُشْركًا فإن الله لا يرضى أن يُشفعَ له؛ لأنه لابدَّ في الشفاعةِ من توحيدِ المشفوعِ له لله؛ بأن يكونَ مُوَحِّدًا لا مشركًا.

❁**قولُه: (القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ في عباداتِهم، منهم مَن يعبُدُ الملائكةَ، ومنهم من يعبدُ الأنبياءَ والصالحينَ، ومنهم من يعبدُ الأحجارَ والأشجارَ، ومنهم مَن يعبدُ الشمسَ والقمرَ، وقاتلَهم رسولُ اللهِ ﷺ ولم يفرِّقْ بينهم، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾)**، هذه القاعدةُ يرُدُّ بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شبهةٍ مشتهرةٍ عند القبوريين، وهي أنهم يقولون إنَّ الشركَ عبادةُ الأصنامِ، فإذا قلتَ لهم إنَّ عبادةَ الأضرحةِ ودعاءَهم من دون اللهِ، والنذرَ لها، والذبحَ لها شركٌ، قالوا إنما الشركُ عبادةُ الأصنامِ، ونحن لا نعبُدُ الأحجارَ كما كانت تعبُدُ قريشٌ الأحجارَ.

يقولون: ونحنُ إنما نرى أنّ لهؤلاءِ الصالحين منزلةً عند اللهِ عَزَّوَجَلَّ كما تقدم.

فهذه القاعدةُ فيها ردٌّ على هؤلاء.

فنقولُ: ليس كلامُكم صحيحًا من أنَّ المشركين كلَّهم كانوا يعبدون الأحجارَ، بل منهم من كان يعبدُ الأحجارَ، ومنهم من كان يعبدُ الأشجارَ، ومنهم من كانَ يَعبدُ الشمسَ والقمرَ، ومنهم من كان يعبدُ الملائكةَ، ومنهم من كانَ يعبدُ الأنبياءَ كالنصارى الذين يعبدون عيسى بن مريمَ، وكانت قريشٌ تعبُدُ الأولياءَ، كاللاتِ فإنَّهُ كانَ رجلًا صالحًا يَلُتُّ السويقَ، وكذلك النصارى يعبدون مريم وهي صديقةٌ صالحة، ثم أوردَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلةَ على هذا.

قولُه: (والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ

لِلَّهِ﴾)، فقد أَمرَ الله تعالى بقتالِ الجميعِ ولم يُفرِّقْ بينهم.

قولُه: (وَدَلِيْلُ الشَّمْسِ والقمَرِ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾).

قُوْلُه: (وَدَلِيْلُ المَلَائِكَةِ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تتخذوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾، وَدَلِيْلُ الأَنْبِياءِ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وإذ قال ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يكون لِىٓ أَنْ أَقُولَ ما ليس لي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾)، هذا في عبادةِ الملائكةِ والأنبياءِ.

قَوْلُه: (وَدَلِيْلُ الصَّالِحينَ قولُه تعالَى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ...﴾ الآية)، أي: أولئك الذين يدعونهم المشركينَ من دونِ اللهِ يتَّصفُون بأنهم يبتغون إلى ربِّهم الوسيلةَ أيُّهم أقربُ ويرجونَ رحمتَه ويخافونَ عذابَه، فهم أولياءُ صالحونَ لكن هؤلاءِ المشركين يَعْبدونهم من دونِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَوْلُه: (وَدَلِيْلُ الأَحْجارِ وَالأَشْجارِ قَوْلُه تَعالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾[النجم: ١٩]، وَحَدِيثُ أبي واقِدٍ الليثيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ إلى حُنَيْنٍ، ونحنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِيْنِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوْطُوْنَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم يُقَالُ لَهَا: ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنا: يَا رَسُولَ اللهاجعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لهم ذاتُ أنواطٍ... الحديث[(١)])، ينوطونَ بها أسلحتَهم، أي يُعَلِّقُون بها أسلحتَهم.

(١) أخرجه الترمذي، (أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ)، باب (ما جاء لتركبن سنن من كان =

۞**قَوْلُه**: «**القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: أنّ مُشْرِكِي زَمَانِنا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِين، لأَنَّ الأَوَّلِينِ يُشْرِكُونَ في الرَّخاءِ ويُخْلِصُوْنَ في الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ؛ فِي الرَّخَاءِ والشِّدَّةِ. والدليلُ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥]**»، لما بيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القواعدِ السابقةِ أنَّ الذي عليه المعاصرون شِرْكٌ كشركِ الأولين، بيَّنَ أنهم أغلظ شركًا من الأولين؛ لأنَّ الأوَّلينَ يُشركونَ في حالِ الرخاءِ لا في الشدةِ.

أمَّا هؤلاءِ المعاصرون فهم يُشركونَ في الرخاءِ والشدةِ، فإذا مرضَ أحدُهم فإنه يلجأُ إلى الأضرحةِ، وإذا عَقُمَ ولم يأتِه ولدٌ لجأَ إلى الأضرحةِ من دونِ اللهِ، وفي الحروبِ يلجأون إلى الأولياءِ، فهم إذًا يُشرِكُونَ في الرخاءِ وفي الشدةِ، وأمَّا المشركون الأوَّلونَ فإنهم يُشركونَ في الرخاءِ، ويُوحِّدُون في الشدةِ. قالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

واللهُ أعلمُ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين

= قبلكم»، (٤/ ٤٥)، رقم (٢١٨٠)، وأحمد (٣٦/ ٢٢٥)، رقم (٢١٨٩٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

شَـــرْحُ

نَواقضِ الإسْلامِ

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لفضيلةِ الشيخ

حمد بنِ عبدِ اللهِ الحمد

حفظَه اللهُ

شرح نواقض الإسلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فبين أيدينا رسالة نافعة لشيخ الإسلام الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جمع فيها عشرةُ نواقضَ من نواقضِ الإسلامِ، وبيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ هذه النواقضَ كُلَّها من أعظمِ ما يكونُ خطرًا وأكثرَ ما يكون وقوعًا. وعليه فلم يقصد رحمه الله حصر هذه النواقض بعشرة.

والنقضُ: وهو ضدُّ الإبرامِ، يُقالُ: نقضُ البيتِ، أي: هدمُه.

فمن أتى ناقضًا من نواقضِ الإسلامِ فقد هدَمَ دينَه نسألُ اللهَ العافيةَ.

وقد جمعَ العلماءُ من المذاهبِ الأربعةِ نواقضَ الإسلامِ في بابِ حكمِ المرتدِّ، ومن اطلَّعَ على هذا الباب في كُتُبِ الفُقَهَاءِ من المذاهبِ الأربعةِ علِمَ بُطلانَ دعوى المناوئين لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ، والإمامِ محمدِ بنِ عبدِالوهابِ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وعلمَ أنهما ومن سارَ على طريقِهما من علماءِ الدعوةِ لا يُكفِّرونَ إلا بما أجمعَ العلماءُ على أنه من المُكَفِّراتِ، و ما دلَّتِ النصوصُ الصريحةُ على أنه من المُكفِّراتِ.

ووجدَ المُطَّلِعُ في هذا البابِ أنَّ كثيرًا من الفقهاءِ عندهم توسُّعٌ في هذا البابِ، وأنهم يُكَفِّرونَ في مسائلَ لا يُكَفِّرُ بها شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ ولا شيخُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

فالطريقةُ التي سارَ عليها علماءُ الدعوةِ المباركةِ أنهم لا يُكَفِّرونَ إلا مَن كفَّرَه اللهُ ورسولُه.

قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُٱللَّهُ في نونيَّتِه:

الكفـــرُ حـــقُّ اللهِ ثُـــمَّ رســـولِه ... بالشـــرعِ يثبُـــتُ لا بقـــولِ فـــلانِ

مـــن كـــانَ ربُّ العـــالمينَ وعبـــدُه ... قـــد كفَّـــرَاه فـــذاك ذو الكُفـــرانِ

قالَ المؤلفُ رَحِمَهُٱللَّهُ: **(اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ عَشَرَةٌ)**:

الأَوَّلُ: (الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ).

الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ نَاقِضٌ مِنْ نَوَاقِضِ الإسلامِ وهو أن يتخذَ العبدُ معَ اللهِ شَريكًا يَصْرِفُ إليه شيئًا من أنواعِ العبادةِ، ولو كَانَ ما يَصْرِفُ إلى غيرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا الأقلُّ من عبادتِه وما يَصْرِفُ إلى اللهِ الأكثرُ، وذلك لأنَّ اجتماعَ الشُّرَكَاءِ في شيءٍ لا يلزم منه تَساوِيَ أَسْهُمِهم فيه، فهذا شَرِيْكٌ لَهُ سَهْمٌ وَهَذا شَرِيْكٌ لَهُ ألفُ سَهْمٍ.

قَالَ اللهُ عن نَبِيِّه مُوسَى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِى﴾، أي: اجعلْ هارونَ شريكي في أمرِ الرسالةِ. قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، ومعلومٌ أنَّ حظ هارونَ من الرسالةِ دونَ حظ موسى.

ولذا فإنَّ العاملَ في المالِ على جزءٍ من الربحِ يُعَدُّ شريكًا.

وقد أجمعَ العلماءَ على أنَّ من صرف شيئًا من أنواعِ العباداتِ إلى غيرِ اللهِ فهو مشركٌ كافرٌ، وبه تواترت النُّصوصُ بهذا من كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ.

قالَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوِ لِلْقَبْرِ): النُّصُوصُ من كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه ﷺ دالةٌ دلالةً قطعيةً على أنَّ الذبحَ عبادةٌ يجبُ إخلاصَها للهِ، قالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ الآية.

والنُّسكُ: هو الذبحُ.

وقولُه: «**لا شَرِيكَ لَهُ**»: فيه أنَّ من ذبحَ لغيرِ اللهِ فقد اتخذَه شريكًا من دونِ اللهِ، فمن ذبحَ للجنِّ فقد أشركَ باللهِ شركًا أكبرَ، كمن اشترى دارًا فذبحَ شاةً لئلا يُصيبَه مكروهٌ من الجنِّ، وفي صحيحِ مسلمٍ أنَّ الرسولَ ﷺ قالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(١).

وكذلك من ذبحَ للأمواتِ ليشفعوا له عندَ اللهِ، فكلُّ ذلك شركٌ أكبرُ.

ومن ذبحَها للحمِ وذكرَ اسمَ غيرِ اللهِ عليها كالجنِّ أو المسيحِ أو الشيخِ فلانٍ فهو شركٌ بالاستعانةِ. قالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهو كفرٌ أكبرُ، وهو في بابِ الربوبيَّةِ.

ومن أنواع الذبح الشركي ما يُسمَّى بالذبحِ لطلعةِ السلطانِ، فتُراقُ الدماءُ في

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الأضاحي)، باب (تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله)، (٣/ ١٥٦٧)، رقم (١٩٧٨)، من حديث عامر بن واثلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

طريقِه، هم ما يقصدون من ذلكَ إكرامَ السلطانِ باللحمِ، الإكرامُ باللحمِ هذا أمرٌ حسنٌ، لكنهم يذبحون لتُراقَ الدِّماءُ فقط كما تُراقُ الدِّماءُ للهِ في الحجِّ، وفي العمرةِ، وفي الأضاحي يُريقونَ هذه الدماءَ تَقَرُّبًا له، يُسَمَّى الذبحَ لطلعةِ السلطانِ، هذا أيضًا من الشركِ.

وأمَّا ذبحُ الذبائحِ يُكرمونَ بها السلطانَ يعني: يذبحونها لتُطبخَ وتؤكلَ هذا أمرٌ جائزٌ، وإنما يُنهَى عن الإسرافِ، أما الذبحُ لطلعةِ السلطانِ يعني: تقربًا للسلطانِ، وتعظيمًا للسلطانِ، فإذا مرَّ بهذا الطريقِ، أتى هؤلاءِ بالإبلِ، وهؤلاءِ بالبقرِ، وهؤلاءِ بالغنمِ، ونحرت وذبحت في طريقِه، يتقربون إليه بسفكِ الدمِ، هذا من الشركِ باللهِ.

قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(**الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُم وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، ويتوَكَّلُ عليهم كَفَرَ إجماعًا**)، كما حكاهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ.

قالَ اللهُ تَعَالى عن المشركين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، قالَ مجاهدٌ كما في تفسيرِ ابنِ جريرٍ: «**قالتْه قريشٌ لأوثانِها، وقالَه من قبلَهم للملائكةِ وعيسى وعُزَيرٍ**»، وهذه شُبْهَةُ المشركين قديمًا وحديثًا.

وقولُه: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، هذا هو الاستثناءُ المُفرَّغُ، أي ما نعبدُهم لشيءٍ ولكن نطلبُ شفاعتَهم عند اللهِ فنحنُ لا نعتقدُ أنهم ينفعون أو يضرون.

فنفى هؤلاء المشركون أن يكونوا قد قصدوا بعبادةِ الأوثانِ شيئًا سوى الشفاعةِ والوساطةِ.

والزُّلفى بمعنى القُربى، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾، فجعلَ اللهُ قولَهم كذبًا عليه وكفرًا به.

وقالَ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وما لا يعلمُه اللهُ فليسَ بكائنٍ، وهذا كما يُقالُ لمن يُفتي بغيرِ علمٍ: أتُفتي بما لا يعلمُه العلماءُ.

ثم قالَ تَعالَى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، فدلَّت هذه الآيةُ على أنَّ من اتخذَ من دونِ اللهِ وسائطَ يسألُهم ويتوكلُ عليهم ويدعوهم فقد كفرَ.

وهذا حالُ عبادِ الأضرحةِ، فإنهم يقولون: إنَّ لهؤلاءِ الصالحينَ جاهًا ومنزلةً عند الله، فنحن نسألُهم ونتوكلُ عليهم، وهم يرفعون حاجاتِنا إلى اللهِ، وهذا من جنسِ ما كان عليه المشركون الأولون كما تقدَّمَ تقريرُه.

قالَ المؤلِّفُ: (الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يَكْفِّرْ المُشْرِكِينَ أو يَشُكُّ في كُفْرِهِم أو صَحَّحَ مَذْهَبَهم، كَفَرَ)، من لم يُكَفِّرْ من دانَ بغيرِ الإسلامِ كالنصارى واليهودِ، ومن عَلِمَ كفرَهم بالنصوصِ من الكتابِ والسنةِ، أو شَكَّ في كفرِهم أو صحَّحَ دينَهم فهو كافرٌ، لأنه مكذِّبٌ لقولِه تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، وفي صحيحِ مسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**لا يسمعُ بي يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم لا يؤمنُ بالذي أُرْسِلْتُ به إلا كبَّهُ اللهُ في النَّارِ**»(١).

فمن رأى أن المِلَلَ كاليهوديةِ والنصرانيةِ والإسلامِ هي بمنزلةِ المذاهبِ الأربعةِ عند المسلمين، وأنَّ كلَّ طريقٍ منها يُوصلُ إلى اللهِ فقد كفرَ؛ لأنه مُكذِّبٌ للقرآنِ وصريحِ السنةِ وإجماعِ أهلِ الإسلامِ.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب (وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام)، (١/ ١٣٤)، رقم (١٥٣).

وهذه المقالةُ الباطلةُ الكُفْريَّةُ يُدعى لها باسمِ التقريبِ بين الأديانِ، أو الإخاءِ الدينيِّ، ولها دعاةٌ في كلِّ عصرٍ.

ومن اعتقدَ أنَّ الكنائسَ بيوتُ اللهِ وأنَّ اللهَ يُعبدُ فيها، أو أعانَهم على فتحِها وإقامةِ دينِهم فيها واعتقدَ أنَّ ذلك قربةٌ وطاعةٌ فهو كافرٌ لتضمُّنِه اعتقادَ صحةِ دينِهم.

وأهلُ البِدَعِ يبتدعونَ بدعةً مخالفةً للكتابِ والسنةِ وإجماعِ الصحابةِ، ويُكفِّرونَ من خالفَهم في بدعتِهم، وهذا من أعظمِ الجَهْلِ؛ فيكفُرونَ جهلًا، ثم يُرتِّبُون على ذلك تكفيرَ من لم يوافقْهم ويقولون: من لم يُكفِّرِ الكافرَ فهو كافرٌ مثلُه، كما كفَّرتِ الخَوارِجُ عَليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكفَّرُوا من خالفَهم.

وابتدعت الرافضةُ تفضيلَ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على الثلاثةِ، وتقديمَه في الإمامةِ، والنصَّ عليه، ودعوى العصمةِ له، وكفَّرُوا من خالفَهم – وهم جمهورُ المؤمنين–.

وابتدعت الجهميَّةُ نفيَ الصِّفاتِ، وأنَّ كلامَ اللهِ مخلوقٌ، وامتحنوا النَّاسَ، وكفَّرُوا من لم يُوَافِقْهُم.

وكذا في هذا العصرِ من كفَّرَ الولاةَ كفَّرَ من خالفَهم من المؤمنين، وهذا كُلُّه من الجهلِ والظلمِ، فإنَّ التكفيرَ حُكْمٌ شرعِيٌّ لا يَجُوزُ أن يُطْلَقَ إلا على من كفَّرَهُ اللهُ ورسولُه، وتوفَّرت فيه الشروطُ، وانتفت الموانعُ كما سيأتي بيانُه إن شاءَ اللهُ.

قالَ المؤلِّفُ: (الرَّابِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ من هَدْيِه، أو أَنَّ حُكْمَ غيرِه أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ– كالذي يُفضِّلُ حكمَ الطَّواغِيتِ على حُكْمِهِ –؛ فَهُوَ كَافِرٌ)، مِنْ لَوَازِمِ شَهَادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدٌ رسولُ اللهِ التحاكمُ إلى الكتابِ والسُّنَّةِ في أصولِ الدينِ وفروعِه، قالَ تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا

بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾، وقالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾، فمن فضَّلَ حكمَ الطاغوتِ على حكمِ اللهِ، أو اعتقدَ جوازَ التحاكُمِ إلى غيرِ شرعِ اللهِ فهو كافرٌ.

وكذلك من حكمَ في الأمورِ الكليَّةِ بغيرِ شرعِ اللهِ؛ أي وضَعَ تشريعاتٍ عامةً تخالفُ الشريعةَ الإسلاميةَ فقد كفرَ؛ كمن وضع قانونًا فيه أن الزانيَ المُحصنَ لا يُرجمُ ولا يُجلدُ؛ لأنَّ ذلك يتضمَّنُ اعتقادَه أنَّ هذا القانونَ العامَّ أصلحُ للناسِ من الشرعِ، والأممَ تضعُ قوانينَ وتعتقدُ أنها خيرٌ لها وأصلحُ من غيرِها.

وأمَّا الأمورُ المعيَّنةُ فلا يُكفرُ بها، فإذا حكمَ القاضي بخلافِ الشرعِ لهواه فلا يكفُرُ، وله حكمُ أمثالِه من أهلِ الذنوبِ بإجماعِ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَو عَمِلَ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ إِجْمَاعًا)**،قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾، فَمَنْ أَبْغَضَ الرَّسُوْلَ ﷺ، أَوْ أَبْغَضَ القُرْآنَ، أو أبغضَ ما جاءَ به الرسولُ فقد كفرَ، وهو من النفاقِ الاعتقاديِّ.

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾، فالمرادُ بالكرهِ المشقةُ، وهذا لا ينافي حبَّه والرغبةَ بالقيامِ به.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيءٍ مِنْ دِيْنِ الرَّسُولِ ﷺ أَوْ ثَوَابِهِ أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ؛ والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾)**، ولو كانَ الاستهزاءُ على سبيلِ المزاحِ، قالَ تعالى عن هؤلاءِ المنافقينِ: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ ﴾فقال تعالى:

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، وهذا بإجماعِ العلماءِ.

ولكن من سخِرَ بأحدٍ من أهلِ الصلاحِ والعلمِ، وقصدَ السخريةَ بالشخصِ نفسِه لم يكفرْ وأثم، وإنما يكفُرُ من قصدَ السخريةَ بعملِه الصالح، وهو يعلمُ أنَّهُ من شريعةِ اللهِ.

فكُلُّ من أتى بقولٍ أو بفعلٍ صريحٍ في الاستهزاءِ بالدينِ فقد كفرَ ولو كانَ مازحًا، ويرجعُ في معرفةِ ذلك إلى العُرْفِ، فكلُّ ما عدَّهُ الناسُ في عُرْفِهم استهزاءً من قولٍ أو فعلٍ ولو بغمزِ العينِ أو تحريكِ اللسانِ فهو من المكفِّراتِ.

وكذلك من سبَّ اللهَ أو رسولَه ﷺ فإنه يكفُرُ؛ لأنه لا يَسبُّه إلا وهو جاحدٌ به، وهذا بإجماعِ العلماءِ.

ويُقتلُ السابُّ للهِ أو رسولِه ﷺ إجماعًا.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(**السَّابِعُ: السِّحْرُ، وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ، فَمَنْ فعلَه أو رَضِيَ به كفرَ. والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾**)، دلَّت هذه الآيةُ الكريمةُ على أنَّ تعلُّمَ السحرِ، وتعليمَه كفرٌ أكبرُ، لأنه لا يتمُّ إلا باستخدامِ الشياطينِ والاستعانةِ بهم، والشياطينُ لا يخدمون إلا من أشرك باللهِ، وهذا هو **السحرُ العُرْفِيُّ**: وهو رُقًى وعُقَدٌ وعزائمُ يُنفثُ فيها فتؤثِّرُ على القلوبِ والأبدانِ، فتقتُلُ وتُمرِضُ وتُفرِّقُ بين الزوجينِ.

وأمَّا ما ذكرَه الفقهاءُ من السِّحْرِ بالأدويةِ والتداخينِ، فهو استخدامٌ لطباعِ الموادِّ، وهو يُؤخذُ من علمِ الفيزياءِ، فمن جهلَ ذلك سمَّاهُ سحرًا؛ لأنهُ قد خفِيَ عنده سببُه، ومن استخدمَ هذا النوعَ بما يضُرُّ الناسَ فإنه لا يكفرُ، ويُعزَّرُ بما يردعُه ويَزجُرُ غيرَه.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المُشْرِكِيْنَ وَمُعَاوَنَتُهم عَلَى المُسْلِمِيْنَ، والدَّلِيْلُ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾)، ما ذَكَرَه الشيخُ هو التولِّي، وهو من المُكفِّراتِ، وأما الموالاةُ فهي مُحَرَّمةٌ، ومنها ما هو غليظٌ، وما هو دونه.

وضابطُ التولِّي هو: محبةُ الكفارِ لدينِهم، أو نُصرتُهم على المسلمين بقصدِ ظُهورِ الكفارِ على المسلمين.

وضابطُ الموالاةِ: محبةُ الكفارِ لدنياهم، وتقديمُهم ورفعُهم لغرضٍ دنيويٍّ مع سلامةِ الاعتقادِ، وعدمِ إضمارِ نيَّةِ الكفرِ والرِّدَةِ وهي فسقٌ وليست كفرًا، قالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقد ناداهم اللهُ باسمِ الإيمانِ، ودخلَ في ذلك من ألقى إليهم بالمودَّةَ كما في قصةِ حاطبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين.

فدلَّ على أنَّ فعلَه ليسَ كفرًا، وإنما هو ضلالٌ عن سواءِ السبيلِ.

وهذا التقسيمُ قرَّرَهُ أئمةُ الدعوةِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ودلَّت عليه النُّصُوصُ من كتابِ اللهِ وسنَّةِ محمدٍ ﷺ.

والموالاةُ: مصدرُ «والى» يُوالِي موالاةً، وهي: المحبَّةُ والنصرةُ.

وأما التولِّي: فهو مصدرُ «تولَّى» أي: اتخذَه وليًّا، وهو: بمعنى المحبةِ التامةِ والنصرةِ الكاملةِ.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التاسعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوْجُ عَنْ شَرِيْعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الخِضْرَ الخُرُوْجُ عَنْ شَرِيْعَةِ مُوْسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَهُوَ كَافِرٌ)، من اعتقدَ أنَّ أحدًا من الأولياءِ يسعُه الخروجُ عن شريعةِ محمدٍ ﷺ كما يعتقدُ ذلك غُلاةُ الصوفيةِ، فهو كافرٌ لتضمُّنِ ذلك تكذيبَ القرآنِ وصريحَ السنةِ وإجماعِ الأمةِ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾الآية، وقال تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾الآية، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقالَ ﷺ: «لا يَسْمَعُ بِي يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لا يُؤْمِنُ بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كَبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ»(١) رواه مسلم.

أمَّا خُرُوْجُ الخِضْرِ عَنْ شَرِيعَةِ مُوْسَى فَلِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد بُعِثَ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، كما في الصحيحين: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(٢).

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِيْنِ اللهِ لا يَتَعَلَّمُهُ ولا يَعْمَلُ بِهِ، والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾)، من أعرضَ عن دينِ اللهِ بالكُليةِ لا يتعلَّمُه بأن يعرضَ عن تعلُّمِ أصلِ الدينِ الذي لا يصِحُّ إيمانُ العبدِ إلا به، ولا يعملُ به فلا يعملُ بالكلِّيَّةِ، بأن يتركَ جنسَ العملِ فهو كافرٌ، **وهذا هو كفرُ الإعراضِ، وهو: أن يُعرضَ عن الحقِّ بعد**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (التيمم)، (١/ ٧٤)، رقم (٣٣٥)، ومسلم، كتاب (التيمم)، باب (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)، (١/ ٣٧٠)، رقم (٥٢١).

معرفتِه وقيامِ الحُجَّةِ عليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

قالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(ولا فَرْقَ في جَمِيعِ هذِهِ النَّواقِضِ بين الهازلِ والجادِّ والخائفِ، إلَّا المُكْرَهَ، وكلُّها مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُوْنُ خَطَرًا، وأَكْثَرِ مَا يَكُوْنُ وُقُوْعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أنْ يَحْذَرَها ويَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ، نَعُوذُ باللهِ من مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيْمِ عِقَابِهِ).

❁ تضمنتْ هذه الجملةُ من كلامِ الشيخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسائلَ:

الأولى: أنَّ الهازلَ لا يُعذرُ إذا أتى بناقضٍ من نواقضِ الإسلامِ، كمن استهزأَ بالدينِ هازلًا لقولِه: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ﴾ فقالَ تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾.

الثانيةُ: أنَّ الخائفَ لا يُعذرُ، كمن تولَّى المشركين خوفًا منهم قالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ﴾ الآية.

فبيَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ من تولَّى الكُفَّارَ خشيةَ أن تكونَ الدائرةُ لهم فهو مُنافقٌ، فالمرضُ المذكورُ في الآيةِ هو مرضُ النفاقِ.

ولأنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا لم يَستَثْنِ إلا المُكرَهَ، قالَ تعالَى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ الآية، فلم يعذُرِ اللهُ إلا من أُكْرِهَ، مع كونُه مطمئنًا بالإيمانِ، وأما غيرُ المُكرهِ فقد كفرَ بعد إيمانِه سواءً فعلَه خوفًا، أو طمعًا، أو مداراةً، أو مَشَحَّةً بوَطنِه، أو أهلِه أو عشيرتِه أو مالِه، أو فعلَه على وجهِ

المزاحِ، أو لغيرِ ذلك من الأغراضِ إلا المُكْرَهَ.

ثم قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ﴾ **الآية**، فصرَّحَ بأنَّ هذا الكفرَ لم يكن بسببِ الاعتقادِ أو الجهلِ أو بُغْضِ الدِّينِ أو محبَّةِ الكُفْرِ، وإنما سببُه أنَّ له في ذلكَ حَظًّا من حظوظِ الدنيا فآثَرَه على الدينِ، كما حصلَ من هِرَقلَ عظيمِ الروم، فإنه أقرَّ بصدقِ الرسولِ ﷺ وأرادَ أن يُسلِمَ ولكنَّه خشيَ على ملكِه، وقال إنما أردتُ أن أختبِرَكم كما ثبتَ في الصحيحِ، فمنعَه الطمعُ في الدنيا من الإسلامِ.

الثالثةُ: أنَّ المُكْرَهَ لا يُكَفَّرُ، والإنسانُ إنما يُكْرَهُ على الكلامِ أو الفعلِ، وأما عقيدةُ القلبِ فلا يُكرهُ عليها أحدٌ، ولذا قالَ تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾كمن أُكْرِهَ على سبِّ اللهِ أو سبِّ رسولِه ﷺ أو أُكرِهَ على السجودِ للصنَّمِ، أو غيرِ ذلك من الأقوالِ أو الأفعالِ المكفِّرةِ فلا حرجَ عليه كما تقدَّمَ.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ: «**تأملتُ المذاهبَ فوجدتُ الإكراهَ يختلِفُ باختلافِ المُكْرَهِ فليسَ المُعْتَبَرُ في كلمة الكُفْرِ كالإكراهِ المُعتبَرِ في الهِبةِ ونحوِها**».

فالمرأةُ قد تهبُ زوجَها حُلِيَّها خوفًا من الطلاقِ، أو سوءِ العشرة، ويُعَدُّ هذا إكراهًا، ومثلُ هذا لا يكونُ في الكفرِ، وإنما يكونُ بالتعذيبِ من ضربٍ أو قيدٍ كما نصَّ على ذلك الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مسألة:

أما الجهلُ -ومنه التأويلُ- فهو عذرٌ في مسألتين:

الأولى: المسائلُ التي قد يخفى دليلُها على بعضِ الناسِ، وليس فيها مناقَضةٌ للتوحيدِ، ولا مناقَضةٌ للإيمانِ بالرَّسُولِ ﷺ كإنكار بعضِ الصفاتِ، فهذه المسائلُ لا يُكفَّرُ المُخَالِفُ فيها وإن أُقيمت عليه الحُجَّةُ لِشُبْهَةِ التأويلِ، وهو نوعٌ من الجهلِ.

ولذا كانَ شيخُ الإسلامِ يقولُ للأشاعرةِ: «**أنا لو وافقتُكم لكنتُ كافرًا؛ لأني أعلمُ أنَّ قولَكم كفرٌ، وأنتم عندي لستم بكفارٍ؛ لأنَّكُم جُهَّالٌ**».

فمن آمنَ باللهِ ورسولِه ثُمَّ أخطأَ في مسألةٍ من الأصولِ أو الفروعِ، فإنه يُعذرُ بالجهلِ؛ لأنه قد لا يبلغُه الحقُّ الذي يجبُ القولُ به أو يبلغُه ولا يثبتُ عنده، أو تقومُ عنده شُبُهَاتٌ يُعارِضُ بها الحقَّ، قالَ تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ والخطأُ هو الجهلُ، وفي صحيح مسلمٍ: قالَ اللهُ تَعَالَى: «**قد فعلتُ**»[1].

أما المسائلُ التي فيها مُناقَضةٌ للتوحيدِ كالشركِ باللهِ، أو مُناقَضةٌ للإيمانِ بالرسولِ ﷺ كالإيمان بِمُدَّعِي النبوةِ بعده؛ فلا يُعذرُ فيها بالجهلِ في أحكامِ الظاهرِ فيُسَمَّى كافرًا ولا يُصَلَّى عليه ولا يُستغفرُ له ولا تُؤكلُ ذبيحتُه ولا يُزوَّجُ للمسلمةِ، قالَ ابنُ القيمِ: «**والإسلامُ هو توحيدُ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، والإيمانُ باللهِ والرسولِ واتِّبَاعُه فيما جاءَ به فمَن كانَ على ذلك فَهُوَ المُسْلِمُ، ومن لم يكن على ذلك فليس بمسلمٍ، إما أن يكونَ كافرًا معانِدًا، وإما أن يكونَ كافرًا جاهلًا**»ا. هـ.

لكنَّ أحكامَ الوعيدِ على الكفرِ من استباحةِ الدمِ والمالِ والسبيِ والتخليدِ في النارِ لا تترتَّبُ على العبدِ حتى تقومَ عليه حُجَّةُ اللهِ على عبادِه وهي قائمةٌ بالقرآنِ،

(١) صحيح مسلم رقم (١٢٦) (١/ ١١٦)

فمن بلَغَه القرآنُ وفهِمَ معانيَه فقد بلغَتْه الحُجَّةُ، قالَ تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾،وقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾.

الثانيةُ: المسائلُ الظاهرةُ المعلومةُ بالدينِ بالضرورةِ إن كانَ مثلُه يجهلُها كمن نشأَ في باديةٍ أو كانَ حديثَ عهدٍ بإسلامٍ فإنه يعذر، وإن كانَ مثلُه لا يجهلُها لم يعذرْ، كالذي يعيشُ في مدائنِ المسلمين فلا يُعذرُ بإباحةِ الزنا أو الربا، أو القولِ بعدمِ وجوبِ الصلاةِ والزكاةِ، فإن كان ناشئًا في باديةٍ، أو كانَ حديثَ عهدٍ بإسلامٍ لم يُكَفَّر حتى يعرفَ.

واللهُ أعلمُ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين

شَرْحُ

الأُصُولُ السِّتَّةُ

شَرْحُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

حمدُ بنُ عَبْدِاللّٰهِ الْحَمَد

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد،

فهذهِ رسالةٌ نافعةٌ مختصرةٌ في أصولِ ستةٍ، جمعهَا الإمامُ المجدِدُ شيخُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدالوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ، وقد جدّد اللهُ بهِ الدين، ونفعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ به العبادَ، وقامت عليهِ هذهِ الدولةُ المباركةُ، التي أظهرَ اللهُ بهَا الشرائعَ والشعائرَ، وأقامَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بهَا ما اندرسَ من الدينِ، فللهِ الحمدُ والمنة.

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ أَعجَبِ العُجابِ، وَأَكْبَرِ الآياتِ الدالَّةِ عَلى قُدْرَةِ الْـمَلِكِ الْغَلاَّبِ :سِتَّةُ أُصولٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيانًا وَاضِحًا لِلعَوامِّ فَوقَ ما يَظُنُّ الظانُّون، ثمَّ بَعدَ هَذا غَلِطَ فيها كَثيرٌ مِن أَذكِياءِ الْعَالَـمِ، وَعُقَلاءِ بَني آدَمَ؛ إِلا أَقَلَّ الْقَلِيلِ.

الشرح

فقد بيّن الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأصول الستة في كتابه، وبيّنها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنته، بيانًا واضحًا، حتى إن العامة من العرب -الذين نزل القرآن بلغتهم- يفهمون ذلك، ومع ذلك غلط في هذه الأصول كثير من عقلاء وأذكياء العالم؛ لأنهم أعرضوا عن الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غافر: ٨٣]: أي بما عندهم من العلم المبني على الضلالات، فخفيت عليهم هذه الأصول العظيمة الواضحة.

وذلك أن في القرآن ما لا يُعذر أحد بجهله؛ لأنه يفهمه العامي والعالم، كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣،وغيرها]، والعامي إذا قرأ القرآن فهم الكثير منه، والقرآن منه ما يفهمه العامي، ومنه ما يفهمه العلماء، ومنه ما اختص الله عَزَّوَجَلَّ بعلمه، كالحروف المقطعة، وإن كان المراد بها تحدي الكفار؛ لأن القرآن نزل بلغتهم التي تجتمع من هذه الحروف، ومع ذلك فإنهم لا يقدرون أن يأتوا بآية منه.

المتن

الأَصْلُ الأَوَّلُ

إِخْلاصُ الدِّينِ للهِ تَعالى وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَبَيانُ ضِدِّهِ الَّذي هُو الشِّركُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ لِبَيانِ هَذا الأَصْلِ مِنْ وُجوهٍ شَتَّى بِكَلامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ، ثمَّ لَـمَّا صارَ عَلى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صارَ؛ أَظْهَرَ لَـهُمُ الشَّيْطانُ الإِخْلاصَ في صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحينَ وَالتَّقْصيرِ في حُقوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ في صُورَةِ مَحبَّةِ الصَّالِحينَ وَاتِّباعِهِمْ.

الشرح

إخلاص الدين هو إفراد العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقد بيّن الله عَزَّوَجَلَّ هذا الأصل في كتابه أعظم البيان، وأتمه وأكمله، وأبلد العامة يفهم هذا، ويفهم أن الله قد أمر في القرآن ألا يُعبد سواه، ولا يُشرَك به شيء، وأن صرف العبادات إلى غيره سبحانه من الشرك الذي يُخرج صاحبه من الإسلام.

وأكثر القرآن جاء في بيان هذا الأصل، ومع ذلك تجد من أدعياء العلم من لا يعرف هذا التوحيد، فيُقرّ عبادة الأموات والأضرحة من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وأوقع الشيطان في قلوبهم، وجرى على ألسنة علماء السوء، أن الذي يدعو لإخلاص الدين لله عَزَّوَجَلَّ يُقصّر في حق الصالحين؛ لأنهم يعبدون الصالحين والأولياء من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ويقولون بأن من يدعو للتوحيد لا يحب الصالحين والأولياء.

ونحن نحب الصالحين ونقتدي بهم، لكن لا نعبدهم من دون الله جل وعلا، وهؤلاء جعلوا الشرك بالله من محبة الصالحين، فإذا كنت تحب الصالحين فتقرب إليهم بالنذور والدعاء وغير ذلك من الشرك.

المتن

الأَصْلُ الثَّاني

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِماعِ في الدِّينِ، وَنَهَى عَن التَّفَرُّقِ فيهِ؛ فَبَيَّنَ اللهُ هَذا بَيانًا شافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوامُّ، وَنَهانا أَنْ نَكونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمينَ بِالاجْتِماعِ في الدِّينِ، وَنَهاهُمْ عَن التَّفَرُّقِ فيهِ، وَيَزيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجابِ في ذَلِكَ، ثُمَّ صارَ الأَمْرُ إلى الافْتِراقِ في أُصولِ الدِّينِ وَفُروعِهِ هُوَ الْعِلْمَ وَالفِقْهَ في الدِّينِ، وَصارَ الاجْتِماعُ في الدِّينِ؛ لا يَقولُهُ إِلا زِنْديقٌ أَوْ مَجنونٌ!

الشرح

أمر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وأمر نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنته، بالاجتماع في الدين، وترك التفرق فيه، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله هو القرآن، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ

شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ١٥٩]: أي كانوا فرقًا، يكفّر بعضها بعضًا، ويلعن بعضها بعضًا، وفي الحديث: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»(١)، وقال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تُناصحوا من ولّاه الله أمركم**»(٢).

فالواجب أن نكون أمة واحدة، قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، فالله عَزَّوَجَلَّ سمّانا مسلمين، نستسلم لله عَزَّوَجَلَّ وننقاد ونخضع له بالتوحيد والطاعة.

ولا يجوز للأمة أن تتفرق فرقًا ومللًا ونِحَلًا كالأمم السابقة، بل نحن المسلمون جميعًا على دين واحد، ولذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٣) ولذا: لا يجوز لمسلم أن ينتسب لأي جماعة من هذه الجماعات التي يُوالَى ويُعادَى عليها، وهذا من البدع، ونحن أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وصار أدعياء العلم في تفرق واختلاف في دين الله عَزَّوَجَلَّ، حتى صار الفقه عندهم هو التفرق في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وصار من يأمر الناس باتباع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والرجوع إلى السنة، وترك التفرق في الدين في أصوله وفروعه، إذا دعاهم إلى هذا قالوا: هذا زنديق، هذا مجنون.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.وابن ماجه(٣٩٩٢) عن عوف بن مالك.

(٢) أخرجه مسلم(١٧١٥) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

المتن

الأَصْلُ الثَّالِثُ:

أَنَّ مِنْ تَمامِ الاجْتِماعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنا -وَلَوْ كانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا-؛ فَبَيَّنَ اللهُ هَذا بَيانًا شافِيًا كافِيًا بِوُجُوهٍ مِنْ أَنْواعِ الْبَيانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صارَ هَذا الأَصْلُ لا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟!

الشرح

فمن تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمّر علينا؛ لأنه لا جماعة إلا بإمام يُسمَع له ويُطاع، وجاءت الأدلة في الكتاب والسنة بهذا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء: ٥٩]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطاع طاعة مستقلة، حتى لو جاء بما ليس في القرآن، وأما طاعة أولياء الأمور فهي تبع لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذا جاء في الصحيحين: (**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**)(١).

ويطاع ولو كان عبدًا حبشيًا، كما في الحديث عند البخاري: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**»(٢)، فمن تأمر على المسلمين، سواء كان قرشيًا أو غير قرشي، عربيًا أو غير عربي، أسود أو أبيض، فإنه يُسمَع له ويُطاع، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومن كره من أميره شيئًا فليصبر، فإن من خرج من**

(١) البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).
(٢) البخاري (٦٩٦)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السلطان شبرًا فمات، مات ميتة جاهلية»(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من مات وهو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية**»(٢)، ولما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرار الأئمة قال: «**وشرار أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم؟. قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»(٣).

ومن خالف هذا الأصل العظيم فهو مبتدع، كما نص على هذا الأئمة، ومن الفرق التي تخالف هذا الأصل الخوارج، ويترتب على هذا سفك الدماء، وتضييع الأموال، والوقوع في الأعراض، وغير ذلك من المفاسد العظيمة التي يقع فيها الخوارج، ولذا: فهم ضرر على الإسلام، وكما قال ابن حزم: الخوارج والرافضة لم يفتحوا لأهل الإسلام لا حصنًا ولا قرية. وإنما هم ضرر على الأمة، وكثير من الجماعات الموجودة في هذا الوقت تتبنى هذا الأصل وهو الخروج على ولاة أمر المسلمين.

ويظنون أن من أصول الإسلام إقامة الخلافة، وإنما أُمرنا بالتوحيد واتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهاد حتى يعبد الله وحده، والله مظهر دينه، ومن وقت قيام الدولة العباسية في القرن الثاني الهجري، وليست الخلافة واحدة، فبنو أمية في المغرب، وبنو العباس في المشرق، ثم بعد ذلك تكاثرت الدول الإسلامية، ثم إن الدولة الإسلامية ليست امبراطوريةً لجبايةِ المال والهيمنة، وإنما يُقصد بالخلافة إظهار الدين وإقامة التوحيد، وهذا هو الأصل، ولذا: لما أرسلت المرأة بهدية لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾[النمل: ٣٦]:

(١) متفق عليه. ٧٠٥٣خ. ١٨٤٩م

(٢) أخرجه مسلم.١٨٤٨ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم. ١٨٥٥ عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي لا أرضى إلا بإسلامكم.

فالمقصود أن الواجب على الأمة الإسلامية أن تُراعي هذا الأصل العظيم، أصل السمع والطاعة، ولزوم الجماعة.

المتن

الأَصْلُ الرَّابِعُ:

بَيانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَماءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالى هَذا الأَصْلَ في أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، إِلى قَوْلِهِ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ في هَذا الْكَلامِ الْكَثيرِ الْبَيِّنِ الْواضِحِ لِلْعامِيِّ الْبَليدِ، ثُمَّ صارَ هَذا أَغْرَبَ الأَشْياءِ، فَصارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدَعُ والضَّلالاتُ، وَخِيارُ ما عِنْدَهُمْ لَبْسُ الْحَقِّ بِالْباطِلِ، وَصارَ الْعِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعالى عَلى الْخَلْقِ وَمَدَحَهُ لا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعاداهُ وَصَنَّفَ في التَّحْذيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ؛ هُوَ الْفَقيهَ الْعالِمَ.

الشرح

إن العلماء يدخلون في أولي الأمر، وقد أُمرنا بسؤالهم وأخذ العلم عنهم، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، فما هو العلم؟ ومن هم العلماء؟ وما هو الفقه؟ ومن هم الفقهاء؟ لأنه كان في زمانه هناك من يدعي أنه من أهل العلم وأهل الفقه، فيُضل الناس، كما في الحديث:

«**اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(١).

والعلم هو معرفة الحق بدليله، والحق هو ما دل عليه الكتاب والسنة، ولذا: قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]: والذكر هو القرآن، وبيانه بالسنة النبوية، فلا بد أن تعرف العلم حتى تعرف العلماء، ولا بد أن تعرف الفقه حتى تعرف الفقهاء.

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولوا العرفان

والفقه هو معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية، ولذا: فليس المقلدة فقهاء.

ويتشبه بالعلماء والفقهاء من ليس منهم، وهم المتعالمون، فيُضلون الناس، ويغتر الناس بحديثهم وفصاحتهم، ويسألونهم ويأخذون عنهم، فيضلون.

كبني إسرائيل، وذلك أن علماءهم كانوا يلبسون الحق بالباطل، أي يخلطون الحق بالباطل ولا يُميزون بينهما، فيلتبس الأمر، ويكتمون الحق عن العامة، ومثال ذلك أن الشرع جاء بمحبة الصالحين، لا عبادتهم، لكنهم يخلطون بين الأمرين، فإذا أنكرت على الذين يأتون لقبر من يزعمون أنه صالح، وينذرون له ويطوفون حول قبره. قالوا: هذا رجل صالح، وقالوا أتُنكر محبة الصالحين؟ أتُنكر أن الصالحين والأولياء لهم مقام عند الله عَزَّوَجَلَّ؟. فتقول: أنا لا أُنكر هذا، إن كان صالحًا فالصالحون لهم مقام، ولكن نُهينا أن نعبدهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فالعبادة شيء آخر، فلا تخلطوا هذا بهذا. وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا: عبد الله**

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ورسوله»(١)، فهو رسول وعبد، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]: فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر يوحى إليه، والإله هو الذي يُعبد، والرسول يُطاع فيما يُبلغه.

وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، ملأ بعض الفقهاء كتبهم بالبدع والضلالات.

وصار من يستدل بالكتاب والسنة، فيدرُس كلام الفقهاء وأئمة الإسلام، ولكنه يعرف الدليل والأصول التي سار العلماء عليها، إذا سلك أحدٌ هذه الطريقة قالوا: هذا زنديق، هذا مجنون.

وصار من يُنكر ما عليه السلف، وما جاء في الكتاب والسنة، ومشى على التقليد المحض، وملأ المصنفات من البدع والضلالات، صار عندهم الفقيه العالم.

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المتن

الأَصْلُ الْخامِسُ:

بَيانُ اللهِ سُبْحانَهُ لأَوْلِياءِ اللهِ، وَتَفْريقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْداءِ اللهِ الْـمُنافِقينَ وَالْفُجَّارِ، وَيَكْفِي في هَذا: آيَةٌ في سُورَةِ آلِ عِمْرانَ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعالَى :﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَآيَةٌ في سُورَةِ المائِدَةِ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وَآيَةٌ في يُونُسَ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعالى :﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ - الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ثُمَّ صارَ الأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعي الْعِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُداةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلى: أَنَّ الأَوْلِياءَ لا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّباعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهادِ، فَمَنْ جاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الإِيمانِ وَالتَّقْوَى، فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيمانِ وَالتَّقْوى فَلَيْسَ مِنْهُمْ! يا ربَّنا! نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ.

الشرح

هذا الأصل في بيان من هم أولياء الله؟ لأن هؤلاء صاروا يعبدون من يزعمون أنهم أولياء، وعبادة الأولياء أو الأنبياء أو الملائكة شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وهؤلاء جعلوا الفجار أولياء، وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ لأن هؤلاء يدعون الناس إلى عبادتهم، ويُضللون الناس بما يجري على أيديهم مما يزعمون أنه كرامات، وليس بكرامات، وإنما هي أحوال شيطانية، فقد يطير الإنسان في الهواء، ويمشي على الماء، ويرونه في عرفة ويسلّم على بعضهم، وفي اليوم نفسه يكون في بلده ويسلّم

على الناس، وهذه أحوال شيطانية من جنس السحر.

أما أولياء الرحمن فلا يرضون أن يعبدهم الناس من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا: يجب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الذين يدعون الناس إلى عبادتهم.

وإذا أردت أن تعرف الولي من غيره فانظر إلى حاله، فإن كان تقيًا متبعًا للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهو الولي.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤]: وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧]، وهؤلاء الذين يحبهم الله عَزَّوَجَلَّ ويحبونه، هم أولياء الله عَزَّوَجَلَّ وأحبابه.

ثم قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة: ٥٤]، هؤلاء هم الأولياء، لا الذين يأتون الفواحش ويقولون: رُفعت عنا التكاليف. ويتركون الجهاد وفرائض الإسلام، ويقولون: قد وصلنا إلى الله، فرُفعت عنا التكاليف. ولذا: فمنهم -أجلّكم الله- من كان يأتي الفواحش في الطرقات، ويقولون: رُفعت عنه التكاليف.

وذكر الله عَزَّوَجَلَّ أن الولي هو المؤمن التقي، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فبقدر ما يكون عند العبد من التقوى والإيمان فله مثل ذلك من الولاية، ولذا: فالعاصي والفاسق من المؤمنين له نصيب من الولاية؛ لإيمانه

ولما عنده من التقوى، والولاية درجات، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [فاطر: ٣٢]، والسابق أكمل في الولاية.

وعند أهل الضلال أن الولي لا يتبع الرسل، ويسعه الخروج من الشريعة المحمدية، ويقولون: الولي مثل الخضر، لا يتبع موسى. فجعلوا -قبحهم الله- الأولياء مثل الأنبياء.

وعندهم أن من جاهد في سبيل الله ليس من الأولياء، ولذا: فإن هؤلاء الصوفية الغلاة عند الاستعمار الإنجليزي، كانوا ينهون أهل البلدان الإسلامية عن الجهاد.

وعندهم أن ترك الإيمان والتقوى هو الولاية؛ لأن الولي عندهم رُفعت عنه التكاليف.

فيسأل الشيخُ ويدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظه من ذلك، ونحن كذلك نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعافينا من هذه الضلالات العظيمة.

المتن

الأَصْلُ السَّادِسُ:

رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَها الشَّيْطانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَاتِّباعِ الآراءِ وَالأَهْواءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ؛ وَهِيَ: أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لا يَعْرِفُهُما إِلا الْـمُجْتَهِدُ الـمُطْلَقُ، وَهُوَ الْـمَوْصُوفُ بِكَذا وَكَذا -أَوْصافًا لَعَلَّها لا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ!-، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإِنْسانُ كَذَلِكَ؛ فَلْيُعرِضْ عَنْهُما فَرْضًا حتمًا -لا شَكَّ وَلا إِشْكالَ فِيهِ!-، وَمَنْ طَلَبَ الْـهُدَى مِنْهُما؛ فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنونٌ -لأَجْلِ صُعوبَةِ فَهْمِهِما!-. فَسُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ -شَرْعًا وَقَدَرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا- فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الـمَلْعُونَةِ مِنْ وُجوهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ الْعَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ - وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ - وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ - إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧-١١].

آخِرُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ، وَصلَّى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْليمًا كَثيرًا إِلى يَوْمِ الدِّينِ.

الشرح

هذا الأصل في رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وكيف صرف المبطلون الناس عن القرآن والسنة؟ وقد تقدم أن العامي يفهم الكثير من الكتاب والسنة، وذكر الشيخ أنهم صرفوا الناس بقولهم: القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق. فإذا جاء

ينظر في القرآن والسنة وقد درس وتعلم وتفقه ودرس اللغة العربية، قالوا: اترك الكتاب والسنة؛ لأنك لست بمجتهد مطلق.

وإذا سألناهم عن شروط المجتهد المطلق، ذكروا شروطًا قد لا تتوفر في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأهل الأصول إذا ذكروا شروط المجتهد المطلق، فلا يقولون بأن من لم يكن كذلك لا ينظر في الكتاب والسنة، لكن هؤلاء يقولون: اترك الكتاب والسنة ما دامت الشروط لم تتوفر فيك.

والشرع قد جاء بوجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]: أي ومن بلغه القرآن، وفي الحديث: «**تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(١)، وقد حفظ الله عَزَّوَجَلَّ القرآن والسنة لتقوم الحجة بهما، وهذه أدلة واضحة في هذا الباب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) رواه ابن ماجه (٤٣) عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مُحتويات الكِتاب

شَـــرْحُ ثلاثة الأصول وأدلتها..٣
المقدمة ٥
شَرْحُ القَوَاعِدِ الأَرْبَعِ..٦١
شَــرْحُ نَواقِضِ الإِسْلامِ..٧١
شــرحُ الأُصُولُ السِّتَةُ...٨٧
المقدمة ٨٩
محتويات الكتاب ١٠٤